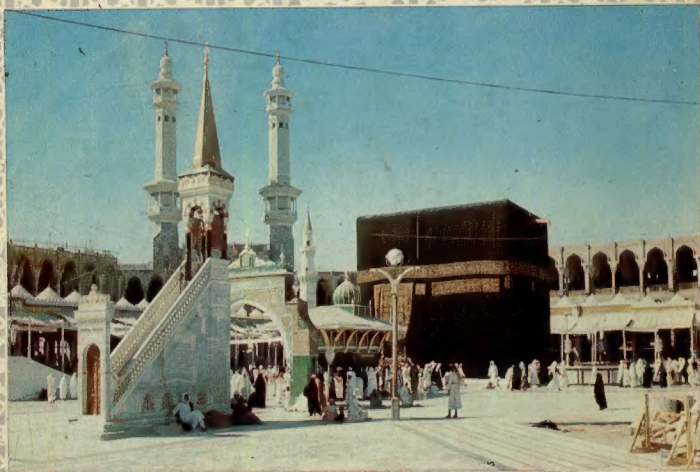


الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة السابعة - العدد ٨٣ - ذي القعدة ١٣٩١ هـ - ١٩ ديسمبر (كانون أول) ١٩٧١ م



هديتك مع هذا العدد (رسالة الحج)

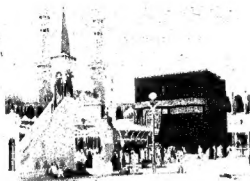


سمو أمير البلاد المعظم يصافح مهنتيه من رجال السلك الدبلوماسي
بمناسبة حلول عيد الفطر السعيد وذلك في قصر السيف العابر .



السعادة
عيد الفطر

سمو ولي
الشيوخ من آل
المبارك .



الكمبة المشرفة

التمن

فلسا	٥٠	الكويت
ريال	١	السعودية
فلسا	٧٥	المراق
فلسا	٥٠	الأردن
قروش	١٠	ليبيا
مليسا	١٢٥	تونس
دينار وربع		الجزائر
درهم وربع		المغرب
روبية	١	الخليج العربي
فلسا	٧٥	اليمن وعدن
قرشا	٥٠	لبنان وسوريا
مليسا	٤٠	مصر والسودان

الاشتراك السنوى للهيئات فقط

فى الكويت ١ دينار

فى الخارج ٢ ديناران

(أو ما يعادلها بالاسترلينى)

أما الأفراد فيشتركون رأسا

مع منحهم التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير إدارة الدعوة والإرشاد
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
ص.ب ١٣ هاتف : ٢٢٠٨٨ - الكويت

الوعى الإسلامى

إسلامية ثقافية شهرية

AL WAKE AL ISLAMI

Kuwait P. O. B. 13

السنة السابعة

المعد الثالث والثمانون

غرة ذى القعدة ١٣٩١ هـ

١٩ ديسمبر « كانون الأول » ١٩٧١ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وإيقاظ

الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية

والسياسية



الرجولة

مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط . سفه أعلامنا ، وشتم آبائنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعتنا ، وسب آلهتنا ... لقد صبرنا على أمر عظيم فبينما هم في ذلك اذ طلع رسول الله ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن ، ثم مر بهم طائفاً بالبيت ، فلما مر بهم غمزوه ببعض القول ، فعرف ذلك في وجهه ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها ، فوقف ، ثم قال : « اتسمعون يا معشر قريش ، أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح » فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل الا كانوا على راسه طائر واقف حتى ان اشددهم وصاة فيه قبل ذلك ليرغوه ، ويلاطفه بأحسن ما يجد من القول حتى انه ليقول : انصرف يا أبا القاسم والله ما كنت جهولا .

وقد غنى تاريخ المسلمين برجال كانوا هامة الشرف وعنوان المجد .. استعلوا على بغريات المل والجاه والحكم ، ووقفوا مواقف كان الموت فيها قاب قوسين أو أدنى منهم ، فامتدت بهم الحياة وجاءتهم الدنيا طائعة ، ولو ان رجولتهم خانتهم ، فتخلوا عن واجبهم ، واستسلموا لشهوات السلطات وآثروا العافية ، على مشقات الجهاد وتكاليف العزة والحرية - لتغير وجه التاريخ وكانوا امثلة للأجيال من بعدهم .

ونذكر في هذا الصدد موقف أبي

الرجولة مجموعة من الصفات النفسية والخلقية والعقلية تنسجها وتوجهها عقيدة تقدر الحق ، وتقنى في سبيله ، وتعرف الواجب وتنهض لادائه مهما كلفها من نصب ، وتهيم بمعالى الأمور ، وتترفع عن سفافها . وليست الرجولة ارادة قوية تظلم وتبطش ، ولا رحمة رخوة تمالىء في الحق ، وتجاهل على حسابيه ، ولا عقلا محتالا يبرر الذنوبة ، ويتلمس المعاذير لقبول الهوان والصغار .

وتتجلى الرجولة بأكمل معانيها وصورها الحية في الرجل الاول والنبي الاول والرسول الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم ، فحياته كلها كانت عنوانا على الرجولة الحققة ، وهو القائل : والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان اترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو اهلك دونه ما تركته .

وما أشد حاجتنا في هذه الظروف التي تتعرض فيها أمة الإسلام لغيرو أقطسارها قطرا قطرا ، الى التذكير بموقف من المواقف الحاسمة للرسول صلى الله عليه وسلم . اعتصم فيه بالحق ، فلم ينكس عنه لقلة جنده . ولم يتهيب عدوه لشدة بطشه .

روى ابن اسحاق عن عبد الله بن عمرو بن العاص : انه حضر قريشا يوما وقد اجتمع اشراغهم في الحجر ، فذكروا رسول الله ، فقالوا : ما رأينا

وأن يرى المنصب وسيلة للخدمة العامة لا للجاه والثراء ، وأن يتخلى عن مركزه عندما يشعر بأن غيره أقدر منه على حبل العصب والنهوض بالمسئولية .

وكل فرد في الأمة محتاج الى هذه الاخلاق مهما كان مستواه الاجتماعي ووضعه الوظيفي والمهني في المجتمع ففي الرجولة متسع للجميع ، وهي ميدان فسيح تتنافس فيه الأمة علماء وساسة ، أدباء وفنانين ، مدرسين وطلبة ، تجارا وصناعا وأقواهم رجولة أقدروهم على خدمة أمتهم وأنفعهم للناس .

نظرة لغوية :

وإذا كانت الالفاظ وعاء للمعاني — كما يقول العلماء — فإن مادة هذه الكلمة (ر. ج. ل) تدل بأصل وضعها في اللغة على طائفة كبيرة من المعاني غير الذكورة المقابلة للأنوثة في بنى الإنسان ..

تقول العرب في المفاضلة بين الاثنين وتفوق أحدهما على صاحبه (رجل الرجلين) وللدلالة على القدرة على التصدي للأحداث والفرد بطل المشكلات تقول « رجل الساعة » وفي مقام المباهاة بالشرف والسناء تقول (هو من رجال قومه) وعندما وصفت السيدة عائشة رضي الله عنها ببعد النظر ومداد الفكر وأصالة السراى قيل (كانت عائشة رجلة الراى) وعند الأشادة بالاعتزاز بالنفس والاعتداد بها وقدرتها على تحمل الصعاب

بكر خليفة رسول الله في حروب الردة فقد أثارته ردة المرتدين ، وأغضبته أشد الغضب وهو الرجل الرقيق الوديع ، ورفض أن يلين ويقبل منهم جزءا من الاسلام ويتسامح في جزء آخر منه ، وصمم على الحرب ، ولم يقبل الا الاسلام كله . كلا من غير أن ينقض منه شيء وقد كان هذا الموقف للمدنيق مفرته الكبرى التي انفسرد بها في تاريخ الدعوة الاسلامية بغير شريك .

والرجولة ليست صفة كمال في الفرد . وجودها وفقدانها فيه لا يقدح في شخصيته . لا — انها صفة اساسية فيه ، فالتناس اذا فقدوا اخلاق الرجولة صاروا أشباه رجال .. غشاء كغشاء السيل .. قباب يتهاوى .. طبل أجوف .. جعجعة ولا طحن .. وتديبا قال العرب : « ترى الفتيان كالنخل ، وما يدرك ما الدخل » .

والامة الاسلامية لا تحتاج الى علم ، ولا تقتدر الى ثروة بقدر مسا تحتاج الى رجولة ، وهي لم تؤت من قلة عددها ، ولا من ضيق رقعتها ، ولا من جذب أراضيها ، وإنما أصابها الضعف والوهن ودب فيها داء الام من تهالكها ، على الشهوات ، وتقاتلها على الجاه والمركز وشيوع الملق والنفاق بين القادة والجاهير على حد سواء .

وأخلاق الرجولة من اساسيات الزعامة الناجحة والقيادة الظاهرة ، فهي تفرض على القائد والزعيم أن يفكر في امته قبل أن يفكر في نفسه ،

ومواجهة الاخطار يقول الشعـاعـر
العربى :

وانها رجل الدنيا وواحدها
من لا يعمل فى الدنيا على احد

واذا رجعنا الى المواضع التى
وردت فيها هذه المسادة فى القرآن
الكريم وجدنا انها فضلا عن دلالتها
على النوع افادت فى كثير من هذه
المواضع معانى اخرى تتجه بالنسوع
الى السمو والامتياز .

استعمل القرآن الكريم (رجالا)
وصفا للمصطفين الاخيار الذين
اختارهم الله من الناس وابتعثهم
لقيادة الامم وتحرير الشعوب وهداية
الانسانية ، وتكرر هذا الاستعمال
فى عدة آيات من كتاب الله . قال
سبحانه : « وما ارسلنا من قبك الا
رجالا نوحى اليهم » ١٠٩ يوسف ٢٣
النحل ٧ : الانبياء .

وساق الكتاب العزيز هذه الكلمة
وصفا للابطال والابطال قال تعالى :

(فيه رجال يحبون ان يتظاهروا والله
يحب المطهرين) ١٠٨ : التوبة .

وقال جل شانه : (رجال لا تلهيهم
تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام
الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما
تقلب فيه القلوب والابصار) .

٣٧ : النور ، وقال عز من قائل :
(من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم
من ينتظر وما بدلوا تبديلا) ٢٨١٠ :
الاحزاب .

والوصف بالرجولة فى القرآن
الكريم فى هذه المواطن وفى المواضع
التي يتوارى فيها الجبناء ليس عقوا ،
بل هو تعبير مقصود يوحي بمقومات
هذه الصفة من جرأة فى الحق
ومناصرة للقائمين عليه قال تعالى :

(وجاء رجل من اقصى المدينة يسمى
قال يا موسى ان الا ياتون بك
ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين)
٢٠ : القصص ، وقال عز شانه :

(وجاء من اقصى المدينة رجل يسمى
قال يا قوم اتبعوا المرسلين) ٢٠
يس . وقال سبحانه : (وقال رجل
مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه
اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد
جاءكم بالبينات من ربكم) ٢٨ :
المؤمنون .

واذا انتقلنا من القرآن الكريم الى
السنة النبوية راينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم يتطلع الى الرجولة
التي تناصره ، وتعزز بها دعوته ،
ويسألها ربه فيقول : اللهم اعزز
الاسلام بأحب الرجلين اليك عمر بن
الخطاب او عمر بن هشام ، فيستجيب
الله دعاءه فى الرجل عمر ، فما هى
معالم الرجولة التي استثنىها رسول
الله فى عمر ؟ وما اثرها فى نشر
الدعوة واعزاز الاسلام .. كان
اسلام عمر حدثا كبيرا فى تاريخ هذا
الدين ، ولو ان آلافا من عامة الناس
اسلموا ما عدلوا عمر ولا قاربوه بدت
رجولته فى اللحظة الاولى من اسلامه
فبعد ان كان المسلمون لا يجروؤن على
الجهر بدينهم جهروا به ، وكانت
الدعوة من وراء حجاب ، فارادها عمر
علانية .. حمل نفسه على كفه دفعا

محدثون — فان يك فى امتى أحد فانه
عمر » .

وقديما نظر الشاعر العربى الى
الناس نظرة فاحصة . يبحث عن
مقاييس الرجولة ، فلم يجدها فى
الشكل والمظهر ، ووجدها فى الحقيقة
والمخبر فقال :

ترى الرجل النحيف فترديه

وفى أثوابه أسد هصور

ويعجبك الطير فتبتليـه

فيخلف ظنك الرجل الطير

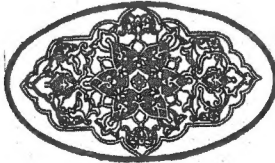
وبعد هذا العرض السريع لمفهوم
الرجولة ، ومقوماتها ومظاهرها
وأثرها فى حياة الأمة ، وبعد اللفتة
المعبرة الى هذه المادة فى اللغة ،
بقيت الإشارة الى أن الرجولة ليست
وحيا يوحى ، ولا معجزة يعجز البشر
عن تحصيلها ، بل هى ثمرة دأنية
للمعقيدة المكيـنة ، والتربية الصحيحة ،
والقدوة الحسنة ، وهى مهمة يتعاون
على تحقيقها البيت ومعاهد التعليم .

مدير ادارة الدعوة والإرشاد

رضوان الببلى

عن عقيدته . وصهم على أن يموت
أو تعلق كلمة الاسلام : فكانت الثانية
.. قال ابن عباس : لما أسلم عمر
قال : المشركون قد انتصف القوم
اليوم منا ، وقال ابن مسعود : ما زلنا
أعزة منذ أسلم عمر ، ولم تكن رجولة
عمر فى قوة بدنه ولا فى غروسيته ،
فقد كان فى قریش من هو أقوى منه
بدنا ، وأشد قتالا ، ولكن رجولته
كانت فى نفسه الكبيرة التى تشيع
الرهبـة وتبعث على التقدير والأكبار
.. هاجر الصحابة خفية أما عمر فقد
تقلد سيفه ومضى الى الكعبة فطاف ،
وصلى فى المقام ، وأعلن هجرته على
ملا من قومه ، وقال لهم « من أراد أن
تثكله أمه ويبتـم ولده ويرمل زوجته ،
فليتبـعنـى وراء هذا الوادى » .. فما
تبعه أحد منهم » .

وتمضى الأيام وتتوالى الاحداث
فتتكشف خصائص الرجولة فيه
ويتجلى عدله وقدرته على تحمل
المسئولية كاملة ، ويتألق ذهنه وصفاء
عقله وسداد رايه ، فينزل القرآن
الكريم موافقا له فى أكثر من عشرين
موقفا ، وقد روى فى هذا الباب أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : « لقد كان فيما قبلكم من الأمم



من هدي السنة

للدكتور : علي عبد المنعم عبد الحميد
الاستاذ بجامعة الكويت

٢ بدء الوحي

عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت :
« أول ما بدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حيب اليه الغلاء وكان يغلبو بغار هراء فيتحنت فيه ، وهي التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه حتى بلغ من الجهد ثم أرسلني ، فقبال : اقرأ قلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني حتى بلغ من الجهد ثم أرسلني ، فقال : اقرأ قالت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ من الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثالثة ، ثم أرسلني فقال : اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم . فارجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها ، فقال : زمولوني زمولوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي ، فقالت خديجة : كلا ، والله ما يخزيك الله أبدا ، انك لتنصل الرحم ، وتعمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل ابن أزد بن عبد المزى ابن عبد خديجة ، وكان أمرا تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيفا كبيرا قد عمى ، فقالت له خديجة : يا ابن عم ، اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة : يا ابن أهي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزل الله على موسى ، يا ليتني فيها جذعا ، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو مخرجي هم ؟ قال : نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا مردى ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي .

— رواية البخاري —

٢ - عهدا اكدته لك ايها القارىء
 الاريب ان نتجاذب اطراف الحديث عن
 ام المؤمنين خديجة بنت خويلد رضى
 الله عنها اول سيدة عطر التاريخ
 باسمها صفحاته مستجيبة لله ورسوله
 منية الى الله تعالى ، متقية له فى
 صورة لم تمدها الدنيا ، ولن تجود
 بتكرارها ، لانه لا رسالة ولا رسول
 بعد سيدنا زوجها المصطفى صلى الله
 عليه وآله وصحبه وسلم ، لقد
 كان لموقفها الحاسم - وهى اول
 انسان يلتقى به الرسول بعد اول
 وحى - اثر كريم دافع الى البناء
 والعزم ، والمضى قدما دون رهبة ولا
 تردد ، والاتبال بقوة على الدعوة
 المنقذة للبشر من هوة الانحرافات
 القاتلة لكل كريمة ، والرافعة علم
 الهدى على طريق الرشاد ، !! فمن
 هى خديجة المعنية بالحديث ؟ وما
 احوالها التى تقلبت عليها ، قبل
 لقائها بسيدنا رسول الله ، وما هو
 الدافع لها الى الارتباط به صلى الله
 عليه وسلم زوجها يوم كان فقيرا معدما
 اعزل بعيدا عن ما يتمتع به كثير من
 شباب مكة من مال وتجارة ، وغير
 قليل مما يغرى النساء بالرجال ؟
 والجواب . . اما من هى ؟ هى خديجة
 بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى بن
 قصى وامها غاطمة بنت زائد بن الاصم
 ابن رواحة بن حجر ، ويلتقى نسب
 ابيها وامها فى غالب بن فهر ، وقد
 تزوجت قبل رسول الله بزوجين اولهما
 عتيق (١) بن عائذ بن عبد الله بن

عمرو ولما توفى عتيق تزوجها ابو هالة
 ابن زرارة التميمى ، ومات ايضا
 فى الجاهلية ، وقد ولدت له ذكرا
 اسمه هند ، وقد شهد بدرا وقبيل
 احدا وكان يحدث عنه الحسن بن على
 ويقول جدثنى خالى لانه اخو غاطمة
 الزهراء لامها ، وقتل هند يسوم وقعة
 الجمل (٢) وعاشت خديجة بعد ذلك
 دون زواج رافضة بكل من يتقدم اليها
 قال ابن هشام وكانت خديجة حازمة
 شريفة لبيبة مع ما اراده الله لها من
 كرامته ، كما كانت اوسط نساء قريش
 نسبا واعظمهن شرفا واكثرهن مالا ، كل
 قومها كانوا حريصين على الزواج منها
 لو يقدر عليه ، واما انجذابها الى محمد
 فنشأ منذ تسامعت بما تلوكه الالسن
 من الحديث العطر عنه ، وما ذكره لها
 خادمها ميسرة حين صحبه فى رحلة
 تجارية الى الشام فعلمت عنه ما لم
 تعلمه عن احد من انرابه ، وقلبت امره
 على وجوه فما رأت له شبيها ولا
 مماثلا فى السلوك والاخلاق
 والاستقامة ، ولا عرفت فتى يقاربه ،
 قد قدره عقلاء قومه حق قدره واضفوا
 عليه كل صفات الكمال ونعوت
 الفضائل ، فعلمت على الارتباط به
 زوجها رغم فاصل السنين بينهما فهو
 فى شرح الشباب وقد بدأت
 هى فى طور الكهولة ، وليهن كل
 شىء فى سبيل الهدف الاسمى ، وكانت
 محاولات انتهت بزواجها كما حكى ذلك
 مفصلا كتب الميخرة ، وكانى بتلك
 السيدة الالعية تنظر ما وراء حجب

الغيب فتستشف المستقبل الذى ينظر الشاب محمدا ، واراد الله لها ان تخلد ما خلد الزمان ، وان تكون اولى امهات المؤمنين وخيرهن دانعت عن الدعوة بمالها وجاها وعقلا وذكائها ، وكل ما تملك ، واعطت من البنين والبنات من كانت احداهن (٣) سببا فى امتداد نسل سيد البشر حتى يرث الله الارض ومن عليها ، فانطلقت به خديجة حتى انت ورقة بن نوفل ، ومن اخبار ورقة هذا انه كسره عبادة الاوثان التى بان له من حقيقتها انها حجارة صم لا تضر ولا تنفع ، فخرج مرافقا زيد بن عمرو بن نفيل الى الشام يسألون عن الدين فاما ورقة فقد اعجبه دين النصرانية فتنصر .

ويقول ابن حجر العسقلانى ناقلا عن كتب السيرة (وكان قد لقي من بقى من الرهبان على دين عيسى ولم يتبدل ، ولهذا اخبر بشأن النبی صلى الله عليه وسلم والبشارة به الى غير ذلك مما افسده اهل التبديل) واتجاه خديجة الى ورقة يعطى مزيدا من الدلالة على غمليتها وذكائها ، وان الله اعداها لتكون الى جانب رسوله فى هذا الظرف العصيب ، وكان يجمعها مع ورقة ورسول الله نسب واحد ، ولهذا قالت يا ابن عم اسمع من ابن اخيك ، وكان ورقة مجيدا للعبانية يكتب بها ، وينقل منها واليها ، وهذا دليل على انه كان عالما باسرار الديانة المسيحية ، ومطلعا على كل ما ورد فى الانجيل والتوراة من البشارة

بنبي هذه الامة ، ولما قص عليه سيدنا رسول الله ما حدث له اجابه (هَذَا التاموس (٤) الذى نزل الله على موسى) واختص موسى لان نزول جبريل عليه متفق على حصوله بين اهل الكتاب بخلاف عيسى ، فان كثيرا من اليهود ينكرون نبوته ، وتشوف ورقة الى مصاحبة رسول الله فى جهاده ، تمنى ان لو عاد شابا يحمل السلاح نصيرا لدعوة الحق ، وجنديا من بنائها (يا ليتنى فيها جذعا) والجذع بفتح الجيم والذال المعجمتين هو الصغير من البهائم ، وتمنى ورقة الشباب ليكون امكن فى نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد عجب رسول الله كثيرا حين اخبره ورقة بان قومه سوف يكذبونه ويقاتلونه ويخرجونه من دياره فقال (اومخرجى هم) ؟ قال ورقة نعم — لم احد يات بمثل ما جئت به الا عودى ، وان يدركنى يومك انصرك نصرا مؤزرا ، ويشاء العلى الكبير ان يلقى ورقة ربه مبكرا ، تقول عائشة رضى الله عنها : (ثم لم ينشب ورقة ان توفى وفتر الوحي) ثم تتابع وتوفيت خديجة عليها رضوان الله قبل ان تفرض الصلاة ، وروى ان عائشة قالت ما غرت على احد ما غرت على خديجة ولقد توفيت قبل ان يتزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين ، ولقد امر رسول الله ان يشرها ببیت فى الجنة .

هذا وما احوجنا فى ظروفنا الراهنة ان نتذكر ما عاناها سيدنا رسول الله

الحديد وتطوى الأفاق ، وما ضاع حق
وراءه مطالب ، ولا تهنوا ولا تحزنوا
وانتم الأعلون ، ولعل في ذكر بسده
الوحي بدء الجهاد النبوي الكريم ما
يدفع الدماء الحارة الى قلوب المسلمين
في آفاق الأرض ، فيفيقوا ، ويتنبهوا
للسيوف التي يعملها أعداؤهم في
رقابهم في كل مكان ، وليتناسوا ما
بينهم من منازعات ، وليعتصموا بحبل
الله ليلتقوا بعدوهم في ساحة الجهاد
على قلب رجل واحد ، ومن عاذ بالله
أعاده الله ، ومن لاذ بحماه نصره ،
ومن توكل عليه كفاه (وما النصر الا
من عند الله العزيز الحكيم . ليقطع
طرفا من الذين كفروا او يكتبهم فيقلبوا
خاسئين) .

صلى الله عليه وسلم ، وما قاساه في
سبيل نشر الدعوة ، وما كان من
هجرته من البلد الذي هو أحب بسلاط
الله اليه ، وما جابه به المشركون من
عداء سافر له ولاتباعه ، ثم ما شتوا
عليه من حروب ما تكافأت فيها العدة
ولا العدد أبدا ، ولكن النصر كان حليفه
عليه افضل الصلاة لثقتة بالله ،
واعتماده على قوة رب العالمين تحارب
معه الملائكة في بدر ، وعوامل
الطبيعة في يوم الأحزاب ، وما وهن
عليه الصلاة والسلام ولا ضعف أمام
عدو أبدا .

وصاحب الحق المؤمن به الواثق
بمعون ربه ، تهون أمامه كل الصعاب ،
وتتلاشى العقبات ، ويلين لعزيمته

- (١) في ١٢٤ من الروض الانف ، للسيوطي ج ١ وقيل ان ابا هالة هو زوجها الاول وعتيق هو زوجها الثاني .
(٢) ورد هذا في شروح المواهب والاستيعاب .
(٣) غاظمة الزهراء أم الحسن والحسين وزوج علي بن أبي طالب رضي الله عنهم اجمعين ..
(٤) في اللغة التاموس صاحب سر الخير ، والجاسوس صاحب سر الشر .



القرآن والكعبة والخلافة

للشيخ أحمد حسن الباقوري

القرآن دستور المسلمين في حياتهم ، والكعبة قبلتهم في صلاتهم ، والخلافة مظهر وحدتهم ونظام شجاعتهم .
وهذه الاصول هي الاسس التي قامت عليها اول دولة للإسلام في مدينة رسول الله عليه الصلاة والسلام .

وقد ظلت هذه الاصول ترونا طوالا موطن اعزاز وموضع تقديس من المسلمين تسوى — على اختلاف النزعات — صفوهم ، وتقوى في مواجهة الازمات عزائمهم وتملا بالامل في بسط سلطان الحق صدورهم وبالهبة لهم صدور اعدائهم .

وعلى مقدار ما استمسك المسلمون بهذه الاصول وحرصوا عليها وناطوا آمالهم بها ، راح اعداؤهم يترصدون بهم الدوائر ، ويطمسون لهم المزالق ويتبعون في صفوفهم الثغرات ، حتى اذا منحت الفرصة اهتبلوها بكل ما تطوى عليه صدورهم من حقد ، وتتلطظ اليه اطباعهم من سلطان ، فاذا دول الاسلام وشعبه في ايديهم غريبا ، ومن البحر الابيض شمالا الى المحيط الهندي جنوبا ، وكل ما الاطلسي غريبا ، وتتفياهم دسائسهم ومكايدهم ، هو هذه الاصول الثلاثة التي لا تيام للامة الاسلامية الا بها وهي كبا قلنا — الخلافة والكعبة والقرآن . ونقف في هذا الحديث وقفة متأملة عند الكعبة والحج .

من الكموب وهو العلو والارتفاع ، والكعبة البيت المربع وجميعه كماب .
والكعبة البيت الحرام ، سبى كعبة لارتفاعه وتربيعه .
وقد ذكرت الكعبة فى كتاب الله فى مواضع كثيرة ذكرت باسم الكعبة فى
قوله تعالى « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس » وقوله تعالى « هديا
بالغ الكعبة » وذكرت باسم البيت فى قوله تعالى « واذ يرفع ابراهيم القواعد
من البيت واسماعيل » وقوله تعالى « فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه
ان يطوف بهما » وقوله تعالى « ان اول بيت وضع للناس » وقوله تعالى
« فليعبدوا رب هذا البيت » .

وذكرت باسم الحرم فى قوله تعالى « اولم يروا انا جعلنا حرماً آمناً »
وقوله تعالى « اولم يمكن لهم حرماً آمناً » .
وذكرت باسم المسجد الحرام فى قوله تعالى « ومن حيث خرجت فول
وجهك شطر المسجد الحرام » وقوله تعالى « ولا تقاثلوهم عند المسجد الحرام »
وقوله تعالى « ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام » .
وفى خبر انشائها انها كانت روضاً (١) نضدت حجارته بعضها فوق بعض
من غير ملاط وكانت تسعة اذرع . وتختلف الروايات فى خبر بنائها .
قيل : ان آدم صلوات الله عليه بناها قبالة البيت المعمور وقيل بناها شيث
ابن آدم ثم هدمها الطوفان ، وليس فى هذا خبر صحيح يعول عليه ، وانما
اقتبسوه من مجمل الآية « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل » .
فظاهر التعبير ان القواعد كانت موجودة ، وان كل عمل ابراهيم
واسماعيل انما كان رمها وليس تاسيسها ، وليس فى لغة العرب ما يمنع
ان يراد برفع القواعد ابتداء بناء البيت على ضرب من التوسع فى التعبير .
وفى تحديد مكان البيت وتاريخه يقول ابن خلدون .

ثم جاء نبى الله ابراهيم وكان من شأنه وثمان زوجته سارة وغيرتها من
هاجر ما هو معروف ، وقد أوحى الله الى ابراهيم ان يترك ابنه اسماعيل وامه
هاجر بالفلاة فوضعها فى مكان البيت وسار عنهما فجعل الله لهما من اللطف
ما جعل من نبع ماء زمزم ومرور الرفقة من جرهم فسكنوا اليهما ونزلوا معها حوالى
زمزم . ثم اتخذ اسماعيل بموضع الكعبة بيتاً يأوى اليه وادار عليه سياجاً من
الردم وجعله زرباً لغنمه وجاء ابراهيم صلوات الله عليه مراراً لزيارته من الشام .
وقد أمر فى آخر زيارته ببناء الكعبة مكان ذلك الزرب ، فبناه واستعان فيه
بإبنه اسماعيل ودعا الناس الى حجه وبقي اسماعيل ساكناً به . ولما قبضت امه
هاجر قام بنوه من بعده بأمر البيت مع أخوالهم من جرهم ثم العماليق من بعدهم
واستمر الحال على ذلك والناس يهرعون اليها من كل افق من جميع اهل الخليقة
وقد نقل ان التتابعة كانت تحج البيت وتعظمه وان تبعا كسهاها الماء والوصائل
وأمر بتطهيرها وجعل لها مفتاحاً ، وقيل أيضاً ان الفرس كانت تحج البيت وتقرب
اليه وان من ذلك القربان غزالى الذهب اللذين وجدهما عبد المطلب حين احترف
زمزم .

ولم يزل لجرهم الولاية على البيت من بعد ولد اسماعيل من قبل خؤولهم
حتى خرجت خزاعة واقاموا بها بعدهم ما شاء الله ثم كثر ولد اسماعيل وانتشروا
وتسبعوا الى كنانة ثم الى قريش وغيرهم وساعت ولاية خزاعة فغلبتهم قريش

على امر البيت واخرجوهم منه ، وملكوا عليهم قصى بن كلاب ، فبنى البيت وسقفه بخشب الدوم وجريد النخيل .

ثم اصاب البيت سيل ويقال حريق فتهدم واعادوا بناءه وجمعوا النفقة من اموالهم وانكسرت سفينة بساحل جدة فاشترى خشبها للسقف ، وكانت جدرانها فوق القامة فجعلوها ثمانية عشر ذراعا .

وكان الباب لاصقا بالارض فجعلوه فوق القامة لئلا تدخل السيول وتصرت بهم النفقة عن اتمامه فقصروا من قواعده وتركوا منه ستة اذرع وشبرا واداروها بجدار قصير يطاف من ورائه وهو الحجر .

وبقى البيت على هذا البناء الى ان تحصن ابن الزبير بمكة وزحفت اليه جيوش يزيد بن معاوية ورمى البيت سنة اربع وستين فاصابه حريق من النفط الذى رمى به على ابن الزبير . فاعاد بناءه احسن ما كان بعد ان اختلفت عليه الصحابة فى بنائه واحتج عليهم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة لولا ان قومك حديثو عهد بكفر لرددت البيت على قواعد ابراهيم ولجملت له بابين شرقياً وغربيين فهدمه وكشف عن اساس ابراهيم وجمع الوجوه والاكارب حتى عاينوه ثم شرع فى البناء على اساس ابراهيم عليه السلام ورفع جدرانها سبعا وعشرين ذراعا وجعل لها بابين لاصقين بالارض وصاغ لها المفاتيح وصفائح الابواب من الذهب ..

ثم جاء الحجاج لحصارها ايام عبد الملك ورمى على المسجد بالمنجنقات الى ان تصدعت حيطانه . ولما ظفر بابن الزبير شاور عبد الملك فيها بناء وزاده فبنى البيت فامر بهدمه ورد البيت على قواعد قريش كما هي اليوم .
هذا ما ذكر ابن خلدون وزيادة فى التفصيل يمكن تقسيم بناء الكعبة الى خمسة اطوار ..

الطور الاول :

بناء ابراهيم مع ولده اسماعيل عليهما السلام وهو ما تشير اليه الايات الشريفة من كتاب الله واذا يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم .

الطور الثانى :

بناء قريش اياها قبل بدء الاسلام بخمس سنين وقد اتفقوا على الا يدخلوا فى بنائها من كسبهم الا طيبا يتجنبون فى ذلك مهر البنى وبيع الربا ومظلمة احد من الناس . ثم ان الناس هابوا هدمها وفرقوا منه فقتل الوليد بن المغيرة - انا ابدؤكم فى هدمها - فآخذ المولى ثم قام عليها وهو يقول اللهم لا ترع اللهم انا لا نريد الا الخير . ثم هدم من ناحية الركنين فترى الناس تلك الليلة وقالوا ننظر فسان اصاب لم نهدم منها شيئا ورددناها كما كانت وان لم يصبه شيء فقد رضى الله عن صنعنا فهدمنا فاصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله فهدم وهدم الناس معه حتى اذا انتهى الهدم بهم الى اساس ابيهم ابراهيم نظروا فاذا قواعد البيت كاسنة الابل - كما يروى البخارى وكانت القبائل من قريش تجمع الحجارة لبنائها كل قبيلة تجمع على حدة حتى اذا انتهوا الى موضع الحجر تنازعوا ابيهم يضعه وتداعوا للقتال . وتحالف بنو عبد الدار وبنو عدى على الموت ، ثم اجتمعوا وتشاوروا ، فاتفقوا على ان يحكموا اول داخل من باب المسجد فدخل محمد بن

عبد الله فقالوا جميعا هذا الأمين وبذلك كانوا يسبونهم فمراضوا به وجكموه .
فقال صلى الله عليه وسلم هلموا الى ثوبا فأتى به فأخذ الحجر الاسود فوضعه فيه
ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارمعوه جميعا ، ففعلوا فلما بلغوا به
موضعه ووضعه محمد بيده ثم بنى عليه وبهذا التصرف الحكيم انتهت الفتنة التي
أوشكت أن تشب نارها بين القبائل العربية الحريصة على الظفر بنصيب من شرف
أقامة البيت العتيق .

والطور الثالث :

بناء عبد الله بن الزبير اياها حين احترقت في عهده . وفي هذا يروى مسلم
في صحيحه انه لما احترق البيت في زمن يزيد بن معاوية حين غزاه أهل الشام
تركه ابن الزبير محترقا حتى قدم الناس الموسم يريد بذلك أن يجزئهم ويحبزبهم على أهل
الشام فلما صدر الحجيج قال ابن الزبير لمن حوله - يا أيها الناس أشيروا على
في الكعبة انقضها ثم أبني بناءها أو أصلح ما وهى منها ؟ فقال ابن عباس أرى أن
نصلح ما وهى منها وندع بيتا أسلم الناس عليه وإحجارا أسلم الناس عليها وبعث
عليها النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن الزبير لو كان أحدكم احترق بيته ما
رضي حتى يجدد فكيف ببيت ربكم ؟ انى مستخير ربي ثلاثا ثم عازم على أمرى فلما
مضت الثلاث أجمع رايه على أن ينقضها فتحاماه الناس أن ينزل بأول من يصعد
أمر من السماء حتى يصعد رجل فالتقى منه حجاره فلما لم يره أناس أصابه شيء
تتابعوا فنقضوه حتى بلغوا به الأرض فجعل ابن الزبير عمدة فستر عليها الستور
حتى ارتفع بناؤه .

وقال ابن الزبير - انى سمعت عائشة تقول قال النبي صلى الله عليه
وسلم لولا الناس حديث عهدم بکفر وليس عتدى من النفقة ما يقوينى على بنائه
لكننى ادخلت فيه من الحجر خمسة أذرع وجعلت لها يعنى الكعبة بابا يدخل الناس
منه وبابا يخرجون منه قال ابن الزبير فانا اليوم أجد ما أنفق ولست أخاف الناس
فزاد عليه خمس أذرع من الحجر حتى أبدى أساسا نظر الناس اليه فبنى عليه
البناء وكان طول الكعبة ثمانية عشر ذراعا فلما زاد فيه استقره فزاد في طوله
عشرة أذرع وجعل له بابين أحدهما يدخل منه والآخر يخرج منه وكان بناؤها هذا
سنة خمس وستين هجرية .

الطور الرابع :

**بناء عبد الملك بن مروان اياها حين قام بالامر وكان قد ارسل الحجاج لحصار
مكة فرمى على المسجد بالمنجنيقات الى ان تصدعت جدران الكعبة .**

ولما ظفر بابن الزبير شاور عبد الملك فيما بناه وزاده في البيت فأمره بهدمه
ورد البناء على قواعد قريش كما هي اليوم فهدم الحجاج منها ستة أذرع وشبرا
مكان الحجر وبنائها على أساس قريش وسد الباب الغربى وما تحت عتبة بابها
اليوم من الباب الشرقى وترك سائرهما لم يغير منه شيئا فكل البناء الذى فيه اليوم
بناء ابن الزبير وبناء الحجاج في الحائط صلة ظاهرة للعيان ولحمة ظاهرة بين
البناعين اشكال توى والبناء متميز عن البناء بمقدار أصبع شبه الصدع وقد لحم .
وهنا اشكال قوى يقوله الفقهاء في أمر الطواف فهم يحذرون لا يقع طوافه
يجعل على الشاذروان الدائر على أساس الجدر من أسفلها حتى لا يقع طوافه
داخل البيت بناء على أن الجدر انما قامت على بعض الأساس مع ترك بعضه وهو

مكان الشاذروان وكذلك قالوا في تقدير الحجر الأسود انه لا بد أن يرجع الطائفة من التقبيل حتى يستوى قائما والا وقع بعض طوافه داخل البيت .
وإذا كانت الجدران كلها من بناء ابن الزبير - وهو انما بنى على أساس ابراهيم فكيف يقع هذا الذي قالوه ؟

ولا نخلص من هذا الاشكال الا بأحد امرين .
أحدهما ان يكون الحجاج هدم جميع البيت وأعادته على ما يروى ذلك جماعة الا ان العيان في شواهد البناء بالتحام ما بين البنائين وتميز أحد الشقين من أعلاه عن الآخر في الصناعة يرد ذلك .

وثانيهما أن يكون ابن الزبير لم يرد البيت على أساس ابراهيم من جميع جهاته وانما فعل ذلك في الحجر فقط ليدخله نهى الآن مع كونها من بناء أبسن الزبير ليست على قواعد ابراهيم وهذا بعيد ومع ذلك لا يحصى من أحد هذين الاشكالين .

ولما انتهى الامر الى الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور أراد أن يبنئها على ما بناها ابن الزبير وشاور في ذلك فقال مالك بن انس انشدك الله أمير المؤمنين الا تركت هذا البيت حتى لا تجعله ملعبة للملوك بعدك لا يشاء أحد منهم أن يغيره الا غيره فذهب هيبته من قلوب الناس قال فانصرف يومئذ أبو جعفر عن عزمه من هدمه واقامته على ما كان عليه في عهد ابن الزبير .

وكان مالكا قد استشعر أن عبد الملك هدم ما بنى ابن الزبير عن هوى سياسى وليس عن حافز دينى وأن أبا جعفر المنصور يريد هدم الكعبة أيضا عن هوى سياسى وليس عن حافز دينى ولهذا ناشده الله لا يفعل . ثم أن مساححة البيت أعنى المسجد كانت قضاء للطائفتين ولم يكن عليه جدار أيام النبی صلى الله عليه وسلم وأبى بكر من بعده ثم كثر الناس فاشتري عمر رضى الله عنه دورا هدمها وزادها في المسجد وأدار عليها جدارا (سورا) دون القامة وفعل مثل ذلك عثمان ثم ابن الزبير ثم الوليد بن عبد الملك وبناه بعدد الرخام ثم زاد فيه المنصور والمهدى من بعده . ووقفت الزيادة واستقرت على ذلك .

الطور الخامس :

تجديد عمارة الكعبة على يد السلطان مراد خان من سلاطين آل عثمان في سنة ١٥٤٠ هـ ولهذا التجديد قصة خلاصتها أن مطرا عظيما معه برد استمر مدة طويلة حتى نشأ عنه سيل عظيم دخل المسجد الحرام وملا معظم أرجائه ، واقتحم الكعبة المشرفة من بابها حتى وصل الى نصف جدارها فسقط الجدار الشامي منها وبعض الجدار الشرقي والغربي وسقطت درجة السطح فضج الناس وملا الذعر قلوبهم فسارع السلطان الى عمارة الكعبة وهى العمارة الاخيرة التى لم يطرأ عليها تغيير الا بما هو أشبه بالصيانة منه بالتعمير .

والذين أكرمهم الله فیسر لهم سبيل أداء فريضة الحج قد راوا بلائسك صورة اصلاح وتعمير في الحرم لم يكن من السهل تحقيقها لولا ما وفق الله تعالى له وهدى اليه الاسرة السعودية الكريمة التى هى مساندة للبيت وراعية له ومحافظة عليه ، ولا يسع مخلصا الا أن يتمنى أن يتقبل الله تعالى هذا العمل الطيب وأن يجزى الذين قاموا به خير الجزاء ..

وتشريف الله هذا البيت وعنايته به أكثر من أن يحاط به وكفى من ذلك أن جعله مهبطاً للوحى والملائكة ومكاناً للعبادة وفرض شعائر الحج ومناسكه وأوجب لحرمه من سائر نواحيه من حقوق التعظيم ما لم يوجب لغيره فمنع كل من خالف دين الاسلام من دخول ذلك الحرم وأوجب على داخله أن يتجرد من المخطط الا

أزارا يستره وحى اللأذ به والواقع فى مسارحه من مواقع الآفات فلا يرام فيه خائف ولا يصاب له وحش ولا يحتطب له شجر .

وحد الحرام الذى يختص بهذه الحرمه من طريق المدينة ثلاثة أميال السى التنعيم ومن طريق العراق سبعة أميال الى الثنية من جبل المنقطع ومن طريق الطائف سبعة أميال الى بطن نمره ومن طريق جده سبعة أميال الى منقطع مسع البسائر .

هذا شأن مكة وخبرها وتسمى أم القرى وتسمى الكعبة لمولها ويقال لها أيضا مكة أما لأن الناس يبك بعضهم بعضها اليها يعنى يدفع بعضهم بعضها اليها وأما لأن الباء والميم يتبادلان لقرب مخرجيهما كما قالوا من طين لازب أو من طين لازم وقال بعض أهل اللغة بكه بالباء البيت وباليم البلد والزهرى يقول بالباء المسجد كله وباليم الحرم . .

وقد وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة فى الجب الذى كان فيها سبعين ألف أوقية من الذهب مما كانت الملوك يهدون للبيت فيها ألف ألف دينار بمائتى قنطار وزنا فقال على يا رسول الله لو استعنت بهذا المال على حريك؟ فلم يفعل صلى الله عليه وسلم وأبقى الأمر على ما كان ثم ذكر لأبى بكر فلم يحركه شئء اليه .

وقد روى البخارى بسنده الى أبى وائل قال :

جلست الى شيبه بن عثمان فقال - جلس الى هنا عمر بن الخطاب فقال هممت ألا ادع فيها صفراء ولا بيضاء الا قسمتها بين المسلمين ، فقلت له ما انت بفاعل فقال وله ؟ قلت - لم يفعله صاحبك قبلك فقال هما المرءان يقتدى بهما ، وقد اتام ذلك المال فى جب الكعبة الى أن كانت فتنة الإفطس وهو الحسن بن الحسين بن على بن على زين العابدين سنة تسع وتسعين ومائة حين غلب على مكة فعمد الى الكعبة فأخذ ما فى خزائنها وقال ما تصنع الكعبة بهذا المال موضوعا فيها لا ينتفع به أحد نحن أحق به نستعين به على حربنا فأخرجه وتصرف فيه وبطلت الذخيرة من الكعبة من يومئذ وفى شأن البيت يقول ابن اسحاق ان قصى بن كلاب هو أول بنى كعب ابن لؤى أصاب ملكا أطاع له به قومه فكانت اليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء فحاز شرف مكة كله وقطعها رباعا بين قومه فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التى أصبحوا عليها وقد هابت قريش قطع شجر الحرم فى منازلهم فقطعها قصى بيده وأعوانه قسمته قريش مجعما لما جمع من أمرها وتيمنت بأمره فما يتزوج رجل ولا امرأة من قريش ولا يتشاورون فى أمر نزل بهم ولا يعقدون لواء بحرب قوم من غيرهم الا فى داره يعقده لهم بعض ولده وما تدرع جاريه اذا بلغت أن تدرع من قريش الا فى داره فكان أمره فى قومه من قريش فى حياته ومن بعد موته كالدين المتبع لا يعمل بغيره واتخذ لنفسه دار الندوة وجعل بابها الى البيت وفيها كانت قريش تقضى أمورها وفى قصى هذا يقول الشاعر :

قصى لعمرى كان يدعى مجعما به جمع الله القبائل من نهر
هم ملأوا البطحاء مجدا وسوددا وهم طردوا عنا غواة بنى بكر
هذا ويقول الوائدى رحمه الله أن قريشا حين أرادوا البنين كانوا يحذرون قطع الشجر من الحرم مخافة أن تنزل بهم عقوبة الله فى ذلك فكان أحدهم يطوف بالبنين حول الشجر حتى تكون فى منزلة وأول من ترخص فى قطع شجر الحرم عبد الله بن الزبير حين أبنتى دورا بقيقعان لكنه جعل دية كل شجرة بقرة وكذلك روى عن عمر رضى الله عنه أنه قطع دوحة كانت فى دار أسد بن عبد

العزى وكانت اطرافها تنال ثياب الطائفين بالكعبة وذلك قبل ان يوسع المسجد فقطع الشجرة عمر ووداها بقرة .

وأما المذاهب فيختلفون في ذلك فمذهب مالك انه لا دية في شجر الحرم وأما الشافعي فجعل في الدوحة بقرة وفي مادونها شاة وفصل أبو حنيفة فقال ان كانت الشجرة التي في الحرم مما يفرسها الناس ويستنبطونها فلا فدية على من قطع شيئا منها وان كان من غيرها ففيه القيمة بالغة ما بلغت . وذكر أبو عبيد أن قصيا اتخذ دار الندوة يجلس القوم فيها للتشاور . والندوة مأخوذة من لفظ الندى والنادى والندى يجتمع القوم الذين يندون حوله أي يذهبون قريبا منه يرجعون اليه وهذه الدار صارت بعد بني عبد الدار إلى حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد ابن عبد العزى بن قصي ابن أخى خديجة أم المؤمنين فباعها في الاسلام بمائة ألف درهم وذلك في زمن معاوية فلامه معاوية في ذلك وقال اتبيع مكرمة آبائك وشرهم بمائة ألف يا حكيم فقال حكيم ذهبت المكارم الا التقوى والله لقد اشتريتها نفسي الجاهلية بزق خمر وقد بعته بمائة ألف درهم واشهدكم ان ثمنها في سبيل الله نايما المغبون ؟

وقد اشترى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه دار صفوان بن أمية وجعلها سجنا بمكة وهو أول سجن اتخذ في الاسلام ومن جمال النظر ان ينكر طاووس هذا التصرف من عمر ذاهبا إلى ان دار العذاب لا ينبغي ان تكون في بيت رحمة . وليس شيء من بلاد الله يشبه مكة فلا يسع مسلما ان يذهب إلى ما ذهب اليه طاووس فيمنع اتخاذه السجن في أي بلد آخر صيانة للامن وتوفيرا للطمأنينة وكذلك لا يسع مسلما ان يمنع ربيع أي بلد من البيع ويبوئها من الكراء كما هي الحال في مكة بقضاء رسول الله في قوله الشريف - مكة مناخ لاتباع رباعها ولا تؤاجر ببوئها » .

وقد كره صلوات الله عليه ان يستأثر لنفسه ببيت أو بناء يظله من الشمس في منى حين اقترحت عليه عائشة ذلك فقال صلى الله عليه وسلم « لا يا عائشة انها هو جناح من سبق » تلك احدى خصائص الحرم . وخصيصة ثانية له هي ان المسلم يؤاخذ فيه بارادة المعصية ولو لم يأتها نلو ان مكلفا أراد وهو بعد أبين أن يقتل رجلا بالحرم لعذبه الله تعالى على هذه الإرادة وان لم ينفذ ما انتواه بدليل قول الله تعالى « ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم » فقد علق الله في الآية اذاعة العذاب على إرادة الاحاد بالظلم .

وليس المراد بالاحاد ما يتقدر الذهن من الميل عن الايمان إلى الكفر فسان الاسلاف كانوا يرون الاحاد في الحرم ان يقول الرجل لا والله بلى والله كما يقرر ذلك عبد الله بن عمر رحمه الله ولذلك كان يتخذ فسطاطين أحدهما في الحل والآخر في الحرم فاذا أراد الصلاة دخل فسطاط الحرم واذا أراد بعض شأنه قصد فسطاط الحل لأن الله عظم الذنب فيه وكذلك كان لعبد الله ابن عمرو فسطاطان في الحل والحرم فاذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل واذا أراد أن يصلي صلى في فسطاط الحرم فقتل له في ذلك فقال ان كنا لتحدث ان من الاتحاد في الحرم ان نقول كلا والله وبلى والله .

والمعاصي تتضاعف في مكة كما تتضاعف الحسنات فتكون المعصية معصيتين احدها بالمخالفة لأمر الله والثانية باسقاط حرمة البلد الحرام . ذلك ما يتصل بتاريخ الكعبة وما احاط بها من محن وأحداث ، ولا يخفى

أن الكعبة هي قلب الحج ، فحين ذكر الله الحج في كتابه كانت هي مدار النص الكريم فذلك حيث قال سبحانه « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين » يعني جل ثناؤه أن من ترك الحج مع الاستطاعة فإن الله غنى عنه لأن الله غنى عن العالمين . ومما لا يجوز التجاوز عنه دون تنبيه إليه أن القرآن استعمل كلمة « ومن كفر » بدلا من كلمة « ومن ترك الحج » أيذانا بشدة حرص الاسلام على أداء هذه الشريعة .

ولا يخفى أيضا أن دعوة الاسلام المسلمين الى أداء فريضة الحج دعوة مشددة مؤكدة لا تقف بهم عند قضاء حق الدين عليهم ، ولكنهم تضم الى ذلك منافع من صميم الحياة لا تستغنى عنها أمة تحصل رسالة الحق والخير . وإلى هذا المعنى يشير قول الله تعالى « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس » يعني جل ثناؤه أنه جعل الكعبة نظاما وانتعاشا لهم في أمر دينهم ودنياهم ، ونهوضا الى أغراضهم ومقاصدهم في معاشهم ومعادهم وإلى هذا أيضا تشير الآية الكريمة « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم » .

وربما ذهب أهل العلم الى أن المراد من المنافع في الآية انها هو التجارة وليس من الميسور التسليم بهذا فإن المنافع أوسع دائرة وأرحب أفقا ، فلا تقتصر على التجارة وحدها فانها هي منفعة من المنافع ولعل أبرز المنافع وأشملها للخير ، التجمع والتعارف مضيا مع قول الله تعالى « أنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » ، ويؤيد هذا المعنى ويقويه شدة حرص الشارع على شهود المسلم للجمعة والجماعات في الصلاة ، حتى لقد قال عليه الصلاة والسلام في شأن قوم تخلفوا عن صلاة الجماعة « لقد هممت أن أمر رجلا يصلى بالناس ثم أتى قوما تخلفوا عن صلاة الجماعة فأحرق عليهم بيوتهم » فليس وراء هذا دليل على فضل الجماعة وعلى شدة حرص الشارع عليها .

واجتماع المسلمين في المسجد لأداء الصلاة انها هو اجتماع نفر قليل في قرية أو بلد بيد أن اجتماع الحبيب في الحج انما يكون من أبعد البلاد وأعماق الفجاج فالفائدة به أعم والثمرة أنفع والحرص عليه أشد ، وخليق بمن يتأمل حكمة الحج في هذا الضوء الا يقصرها على منافع التجارة والرزق ، وانما يضي بها قدما الى ما أراده الله تعالى للمسلمين من التجمع والتعارف والتفاهم والتشاور الذي هو خير وبركة لكافة المسلمين .

والذين يتبعون في عصرنا هذا ما صار عرفا متبعيا بين الشعوب من المعاهدات الثنائية التي يتعارفون فيها ويتواصلون ، والمعاهدات الاقتصادية التي يتبادلون فيها المنافع والكسوب يرون الاسلام قد سبقهم الى ذلك بأربعة عشر قرنا من الزمان .

فالحج بهذا النظر ركن عظيم تستند اليه الجامعة الاسلامية التي تصون مصالح أمة القرآن .



الاسلام دين توحيد خالص ، لا يؤمن بالوساطة بين العبد وربّه ، ولا بمشهود محسوس يركّز عليه الانسان تفكيره ، ويصرف اليه همهته ، ليتخيل به الاله الذي لا تدركه الابصار ، ويرتبط به في خياله ويتمسك بأذياله ، فلا وسائط ولا مظاهر ، ولا صور ولا اصنام ، ولا هياكل ولا طبقة كهان ولا سدنة ، « واذا سالك عبادى عنى فانى قريب ، اجيب دعوة الداع اذا دعان ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلمهم يرشدون » « فاعبد الله مخلصا له الدين . الا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » .

اذا فالاسلام دين يطلب تجردا في الخيال ، وسهوا في الفكر ، ونقاء في الارادة والنية ، واخلاصا في العمل والتطبيق وانقطاعا عن الغير ، لا يتصور فوقه أكثر منه ، ومستوى في الفكر والعقيدة ، لم تبلغ الانسانية ولا الاديان والفلسفات ، والنظم الدينية أو العقلية الى مثله أو قريب منه ، وقد وصف الله نفسه بها لا مزيد عليه في الدقة والسمو ، فقال : « ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير » .

ولكن الفطرة البشرية ، هي الفطرة البشرية ، فالانسان ما زال — ولا يزال — باحثا عن شيء يراه بعينه ، فيوجه اليه اشواقه ، ويقضى به حنينه ويشبع به رغبته الملحة ، في التعميم والدنو .

وقد اختار الله امورا ظاهرة محسوسة ، اختصت به ونسبت اليه وتجلت عليها رحمته ، وحفتها عنايته بحيث اذا رؤيت ذكر الله ، وارتبط بها وقائع وحوادث ، وافعال واحوال تذكر بأيام الله وآلائه ، ودينه وتوحيده ، وحسن بلاء انبيائه ، وسمائها (سمائر الله) التي جعل تعظيمها تعظيمه ، والتفريط في جنبها تفريطا في جنبه ، وسمح للناس أن يقضوا بها حنينهم الكامن في نفوسهم ، ورغبتهم الفطرية في الدنو والمجاهدة ، بل حدث على

الاسلام دين توحيد وتجريد لا وسيطة فيه ولا تمثيل



لكاتب كبير

ذلك ، ودعا اليه فقال : « ذلك » ومن يعظم شعائر الله ، فانها من تقوى القلوب » ، وقال : « ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه » . ثم ان الانسان ، ليس عقلا مجردا ، ولا كائنا جامدا يخضع لقانون ، او ارادة قاسرة ، ولا جهازا حديديا يتحرك ويسير تحت قانون معلوم ، او على خط مرسوم ، ان الانسان عقل وقلب ، وايمان وعاطفة وطاعة وخضوع وهيام وولع ، وحب وحنان ، وفى سر عظمته وشرفه وكرامته ، وفى ذلك سر قوته وعبقريته وابداعه ، وسر تفانيه وتضحيته ، وبذلك استطاع ان يتغلب على كل معضلة ومشكلة ، وان يصنع العجائب والخوارق ، واستحق ان يحمل امانة الله التى اعتذرت عنها السموات والارض والجبال ، فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان ، ووصل الى ما لم يصل اليه ملك مقرب ، ولا حيوان ولا نبات ولا جماد .

ان صلة هذا الانسان بربه ، ليست صلة قانونية ، عقلية محسب ، يقوم بواجباته ويدفع ضرائبه ، ويخضع اوامره واحكامه ، انها هى صلة حب وعاطفة كذلك ، صلة لا بد ان يرافقها ويقترن بها ، ويتحكم فيها حنان وشوق ، وهيام ولوعة ، وتфан وتهالك ، والدين لا يمنع من ذلك ، بل يدعو اليه ، ويغذيه ويقويه ، فتارة يقول القرآن : « والذين آمنوا أشد حبا لله » وتارة يقول : « قل ان كان آباؤكم وأبنائكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله ، فتركبوا حتى يأتى الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين » ويذكر أنبياءه ورسله وينوه بحبهم وحنانهم ، ويحدث عن أشواقهم وتفانيهم فى هذا الحب ، فيقول عن يحيى (عليه السلام) : « وآتيناہ الحكم صبيا . وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا » ويحكى قصة خليفه ابراهيم كيف أثر حب الله وطاعته على حب

ولده ، وفلذة كبده ، وكيف وضع السكين على حلقومه ، وحاول ذبحه حتى
شهد ربه بصدقه وحسن بلائه ، وقال : « يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا .
انا كذلك نجزي المحسنين . ان هذا لهو البلاء المبين » ولذلك قال غي وصف
ابراهيم : « ان ابراهيم لحليم اواه منيب » .

وذلك سر اطالة القرآن في ذكر صفات الله وأفعاله ، وآلائه ونعمائه
واشاداته بها ، والعودة اليها مرة بعد مرة ، فان الصفات ، هي التي تثير
الحب وتبعث الحنان ، وتوجد الاشواق ، وذلك سر تفصيل القرآن الذي
يعبر عنه بعض علماء الكلام وأئمة الاسلام ، « بالنفى المجل والاثباتات
المفصل فان الاثبات هو الذي ينبع منه الحب ، وينبض منه الحنان ، وتنبعث
به الاشواق ، وتتغذى به العاطفة ، فاذا كان النفي رائد العقل ، كان
الاثبات رائد القلب ، ولولا هذه الصفات العليا وأسماء الله الحسنى ، التي
نطق بها القرآن ، ووردت بها السنة ، وهام بها الهائمون ، وتغنى بها
العارفون ، وسبح بها المسبحون ، وسبح في بحارها ، ونزل في أعماقها
الفواصون ، لكان هذا الدين جامدا ، لا يملك على أتباعه قلبا ، ولا
يثير فيهم عاطفة ، ولا يبعث فيهم حساسة ، ولا يحدث في القلب رقة ، ولا
في الصلاة خشوعا ، ولا في العين دموعا ، ولا في الدعاء ابتهاجا ، ولا في
الجهاد تغانيا ، وكانت علاقة العبد بربه علاقة محدودة ميتة لا حياة فيها ولا
روح ، ولا مرونة ولا سعة ، وكانت الحياة كلها حياة رتيبة ، لا
عاطفة فيها ولا اشواق ، ولا حنان فيها ولا هيام ، واذا ، أي فرق بين الحياة
والموت ، وبين الانسان والجاد ؟!

لقد كان المسلم في حاجة الى غذاء للقلب ، والى زاد للعاطفة ، والى
أن يقضى شوقه ، ويروى غلته ، مرة بعد مرة ، وعلى فترة بعد فترة ، وكان
في حاجة الى أن تطفح كأسه ، فما قيمة كأس تملىء ولا تطفح ؟ . وكان في
حاجة الى أن تفيض هذا الكأس ، فما قيمة كأس تطفح ولا تفيض ؟ .
لقد كان للمسلم أن يقضى هذا الشوق ، وأن يبرز هذا الحنان ، وأن
تفيض كأسه في الصلوات التي يصلحها كل يوم ، فيسلى بها قلبه ويطفىء بها
غلته ، ويهدئ بها ثائرته ، ويخفف بها حرارة شوقه ، ووهج نفسه ،
ولكنها قطرات محدودة تتكون خشوعا ، أو تسقط دموعا ، انها قطرات قد لا
تفي بما يجيش في الصدر من حنان وولوع ، وهي قطرات قليلة في بعض
الأحيان لا تسمن ولا تغنى من جوع .

لقد كان المسلم في حاجة — بعد هذه الصلوات ، التي يصلحها كل
يوم ، وبعد شهر رمضان ، الذي يصومه كل عام ، وبعد الزكاة ، التي يقوم
بها اذا تم النصاب وحال الحال ، الى أن يشهد موسما هو ربيع الحب
والحنان ، وملقى الحبين والمخلصين ، ومشهد العشاق والهائمين .
وكان المسلم في حاجة الى أن يثور على عقله ، الرزين الوقور ، المقلد
الطبق ، وما لذة حياة لا ثورة فيها ولا تمرد ؟ وكان في حاجة الى أن يتخطى
الدائرة المرسومة من عادات والوفات ، وقوانين وضعية ، وحضارة
مصطنعة ومجتمع قاس ، ويفك قيوده وأغلاله ، وينتزع الزمام من يد عقله ،
الذي استبد به زمانا طويلا ، ويعطيه لقلبه وعاطفته ، فيتحرر فيه ما
شاء ، ويهيم على وجهه كما هام الهائمون ، ويذهب في الحب كل مذهب
كما فعل العشاق المتيمون ، فلا حرية لمن ملكه المجتمع ، وسيطرت عليه
الحضارة ، وتسلمت عليه آلهة التقاليد ، ولا توحيد لمن أسرته العادات ،

والمالوفات والشهوات ، ولا يعتبر مطيعا متقادا مسلما مستسلما ، من اعتمد دائما على عقله ، لا ينشط لعمل ، ولا يسرع لامتنال أمر ، حتى يزنه فى ميزان عقله المخلوق ، ويعرف غوائده المادية المحسوسة . والصحيح بوضعه الدقيق الغامض ، المنافى للمألوف المعروف ، لعباد العقل والمادة ، وأسارى النظم والترتيبات ، ودعوة الى الايمان بالغيب ، واتباع الأمر المجرد ، وعزل العقل عن وظيفته لمدة محدودة ، وفى مكان محدود ، وصرفه عن طلب الدليل والحكمة ، والمنطق والفلسفة فى كل حين وأوان ، وفى كل زمان ومكان .

والحج بمناسكه وأركانه وأعماله ، كله تمرين وتمثيل للاطاعة المطلقة ، وامتنال للأمر ، وتلبية واجابة للطلب ، فالحاج يتقلب بين مكة ومنى ، وعرفات والمزدلفة ، ثم منى ومكة : يقيم ويرحل ، ويمكث وينتقل ، ويخيم ويقطع ، انها هو طوع اشارة ورهين أمر ، ليست له ارادة ولا حكم ، وليس له اختيار ولا حرية ، ينزل بمنى ، فلا يلبث أن يؤمر بالانتقال الى عرفات ، من غير أن يقف بالمزدلفة ، ويقف بعرفات ، ويظل سحابة النهار مشغلا بالدعاء والعبادة وتحديثه نفسه بالملك بعد الغروب ، ليستجم ويستريح ، فلا يسمح له بذلك ، ويؤمر بالانتقال الى المزدلفة ، ويقضى حياته محافظا على الصلوات فى وقتها ، ويؤمر بترك صلاة المغرب فى عرفة لأنه عبد لربه ، ليس عبدا لصلاته وعاداته ، فلا يصلحها الا بالمزدلفة جمعا مع الغشاء ، وتطيب له الإقامة فى المزدلفة ، فيريد أن يطيلها ، فلا يسمح له بذلك ، ويؤمر بالانتقال الى منى .

وهكذا كانت حياة ابراهيم وحياة الانبياء ، وحياة العشاق المؤمنين والمحبين والمتيمين ، نزول وارتحال ومكث وانتقال ، وعقد وحل ، ونقض وإبرام ، ووصل وهجر ، ولا خضوع لعادة ، ولا اجابة لشهوة ولا اندفاع للهوى .

وكان ينبغى أن يكون ذلك فى مكان ، قد قام فيه أكبر المحبين وامام المخلصين ، وأشد الناس حبا لله ، وأحبهم الى الله فى عصره ، وأسرته الصغيرة ، الطيبة المباركة ، بأكبر دور فى الحب والولاء ، والاخلاص والوفاء ، والايثار والفداء ، وقاموا بأروع رواية وأجملها ، فى تاريخ الحب السامى والولاء الطاهر ، والاخلاص المعجز ، وجاء من بعدهم الانبياء والمرسلون ، والموحدون المخلصون ، والمحبون فى كل عصر ، فنسكوا مناسكهم وشهدوا مشاهدهم ، واحتذوا حذوهم ، وترسموا خطاهم ، وحكوا هذه الرواية وأعادوها ، فطافوا حول البيت ، وسعوا بين الصفا والروة ، ووقفوا بعرفات ، وباتوا فى المزدلفة ورموا الجمرات ونسكوا فى منى .

وكان فى المكان والزمان ، وفصول الرواية التى يعيدونها ، والأعمال التى يقلدونها ، ونسائم الحب التى ينشقونها ، والجو الفاضل بالإيمان والحنان الذى يعيشون فيه ، وطبقات الأمة ، التى يتصلون بها ويعاشرونها وفى هذا الالتقاء الدينى الروحى ، الذى لا نظير له على وجه الأرض ، وفى هذا الضجيج من الدعاء ، والذكر والتلبية والاستغفار ، ما يعيد الحياة الى القلوب الميتة ، ويحرك الهمم الفاترة ، وينبه النفوس الخاملة ، ويشعل شرارة الحب والطموح التى انطفت ، أو كادت تنطفىء ، ويجلب رحمة الله .

الحج

إن إيقاظ الجماعة من رقدها وسباتها ، وهز أركان البنى الاجتماعية الواهية أو تغييرها ، ودحر فساد الحكم وعجزه عن طريق « الثورات » العالمية قد برأفته: أحيانا هدم وتخريب ، ومن أجل إنجاح الثورة يفرض رجالها سلطانهم ، ويعملون على تحقيق أهدافهم بالعنف والبطش والجاسوسية الرهيبة ، مما يؤدي الى تمزيق أوصال المجتمع ، وخلق نوع من الكراهية الجديدة والحقد الدفين بين فئات الناس .

أما طريق الاسلام اذا وجد حماته الى تحقيق اهداف الثورة الاصلاحية الدائمة ، فهو في تمثل معانيه الصافية ، ووعى مقاصده الاصلية ، وال التزام تطبيق تعاليمه وواجباته الرشيدة .

وفهم مقاصد الحج على نحو سليم يوحى لنا بكثير من العبر والخلافة والقيم المبدعة في تجديد بنية الجماعة وتخريج الاجيال المتطلعة الى مستقبل مشرق ونمط في الحياة أصلح وأفضل .
ومن أهم قوى الدفع نحو حياة جديدة للجماعة هو التخلص من أوزار الماضي ، ونبد كل عوامل التخلف والتجزئة أو التمزق والانقسام ، وطريق ذلك في الاسلام هو الحج .

فالحج ذلك المؤتمر الاسلامي الاكبر الذي يتجدد في كل عام في اقدس بقاع الله في الارض طريق واضحة للوحدة والجامعة الاسلامية اذا شاء الحكام وساعدوا عليه واستغلوا امكانياته وطاقاته الخيرة الكبرى ، اذ هو العبادة الجماعية الحسية المتميزة في الاسلام بهذا

طريق الوحدة

للذكور ومكة الزميلي

الوصف ، فمناسكه وشعائره كلها مفروضة الاداء بصفة جماعية فى حد ذاتها ، أو لان وقتها محدود فى ايام معلومة معينة ، وهى قائمة اساسا على التجمع والكتل والتعارف والتآلف ، وكل جماعة تؤم البيت الحرام وتفيد من منجزات الحج تكون خير رسل لاقوامها تبلغهم ما يجب عليهم ، وتبعثهم على انجاز ما يلزم ، ومع الزمن يتصل حبل الجماعة وتتضافر جهودها فى بناء الوحدة والاجيال القادمة بتكرار مناسبات الحج كل عام ، لذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله الحرام ، فلم يحج ، فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا » .

وواضح اننا لا نجد لغير الحج من فرائض وعبادات الاسلام الاخرى هذه الصفة الجماعية الذاتية ، لان تلك العبادات يمكن القيام بها بصفة منفردة ، وهى اما ذات نفع شخصى محض ، أو ذات هدف اجتماعى محصور فى نطاق معين . فاداء الصلاة جماعة ودفع الزكاة مثلا يقتصر اثرها على بقعة ضيقة بدليل جعل الجماعة فى الصلاة فرضا كفائيا فى كل بلدة ، وأن الزكاة لا يجوز نعلها الى بلد آخر ، وهذا لا عيب فيه ، بل هو

فضيلة لما فيه من تمتين بناء الجبهة الداخلية ، وتكافل كل جماعة قليلة فيما بينها ، باعتبار انها أعرف بمناطق عيشها ، وأهل موطنها ، مما يدعو الى اتحاد الجماعات الصغرى ، واجتماع كلمتها ، ووقوفها صفا واحدا إزاء مصالحها المشتركة ، وتوثيق عرى التآلف وتبادل الحبة والاخاء بين أفرادها ، كما يحصل ذلك ايضا فى أداء صلاة الجمعة والعديد .

وقد أبان العلامة الدهلوى فى « حجة الله البالغة » حقيقة الحج وأثره التجديدى فى المجتمع فقال : « اعلم أن حقيقة الحج اجتماع جماعة عظيمة من الصالحين فى زمان يذكر حال المنعم عليهم من الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين ، ومكان فيه آيات بينات قد قصده جماعات من أئمة الدين معظمين لشعائر الله متضرعين راغبين وراجين من الله الخير وتكفير الخطايا ، فان الهمم اذا اجتمعت بهذه الكيفية لا يتخلف عنها نزول الرحمة والمغفرة ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم « ما روى الشيطان يوما هو فيه أصفر ولا أحمر ولا أبيض ولا أغبط منه فى يوم عرفة ... » الحديث ثم قال : « وكما أن الدولة تحتاج الى عرضة — أى اختيار — بعد كل مدة لتمييز الناصح من الغاشى ، والمنقاد من المتمرد ، وليرتفع الصيت وتعلو الكلمة ، ويتعارف أهلها فيما بينهم ، كذلك الأمة تحتاج الى حج لتمييز الموقف من المنافق ، وليظهر دخول الناس فى دين الله أنوارا ، وليرى بعضهم بعضا ، فيستفيد كل واحد ما ليس عنده ، إذ الرغائب انما تكتسب بالمصاحبة والتراثى ... »

والمكاسب الجماعية التى تتحقق بالحج متعددة متنوعة منها سياسى ومنها اقتصادى ، فبالجمع المنظم وبتمثل وإدراك غايات الحج يلتقى المسلمون على منهج واحد ، وخطه عمل موحدة ، ويقيمون دولة واحدة . وبالتعارف والتآلف تتعرف الشعوب حاجات بعضها وموارد وإنتاج بلدانها ، بالإضافة الى ما تقوم به السفارات والتفصليات الحديثة والفوفود الاقتصادية من دور وخدمة رسمية فى هذا الشأن . وبالاجتماع فى صعيد الحج يستنصر الضعيف بالقوى ، ويستعين صاحب الخطر الداهم بالبعيد عنه لدفع الأخطار وصد العدوان والضغط على الحكام المحليين اذا تراخوا أو قصروا فى القيام بواجبهم العام نحو اخوانهم المهتدد وجودهم أو مصالحهم . وبذلك تتضح صور المواقف جلية وتنجلي الرؤى التى قد تشوبها أو تزيفها أو تمسكت عنها وسائل الاعلام الحديثة .

وبهذا يتوصل المسلمون الى الظفر بمقاصد الحج الحقيقية ، اذ ان العبادة فى الاسلام ليست مقصودة لذاتها ، وانما لما يترتب عليها من ثمار ومنافع اجتماعية باعتبارها وسيلة اصلاحية تربوية ناجعة لن يدرك معناها ويحظى بمغزاها الاصيل . ومن هنا لا نريد أن يتوقع الاسلام فى زاوية ومفهوم العبادة المحضة ، وترك جوانبها النافعة بين أبناء المجتمع ، فالهدف الاول بجعل الاسلام رهين المسجد أو المنزل أو القلب هو فرض العدو ، والهدف الثانى بمد أثر العبادة الى المجتمع هو لب الاسلام وسمته وقصده الصحيح . ومن المؤسف أن الاعداء

استطاعوا غزو المجتمع الاسلامى وروجوا لهدفهم الاول ، وشملوا او عطلوا
فاعلية الحج وغيره فى اصلاح الاخلاق والمعاملات وتأييد التجمع
الاسلامى .

وتتجلى اهداف الحج الجماعية من وجوه مختلفة فى التشريع
الاسلامى ، وأخصها بناء الوحدة الاسلامية :

فى اصل ايجاب الحج خاطب الحق تبارك وتعالى المكلفين بعبارة
« الناس » التى هى اعم من عبارة « يا أيها الذين آمنوا » التى يغلب
استعمالها فى المطالبة بأداء العبادات ، فقال سبحانه « ولله على الناس
حج البيت » « وأذن فى الناس بالحج » وكان نداء ابراهيم عليه السلام
تنفيذا لهذا الامر الالهى « يا أيها الناس إن ربكم قد اتخذ بيتا ، فحجوه ،
فيقال : إن الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الارض ، وأسمع من
فى الارحام والأصلاب ، وأجابه كل شيء سمعه من حجر ومدر وشجر ومن
كتب الله أنه يحج الى يوم القيامة : لبيك اللهم لبيك » مما يدل على
معانى الشمول والاحاطة فى أصل مفهوم الحج . وما أجمل تعبير النبى
صلى الله عليه وسلم بوصف الحجاج أنهم وفد الله حيث قال : « الحجاج
والعمائر وفد الله ، إن دعوه أجابهم ، وإن استغفروه غفر لهم » والوفد فى
اللغة : الجماعة المختارة لشأن هام ، وليس هناك أهم شأن من العمل
على توحيد الصف الاسلامى . وفى سبيل ذلك وردت احاديث نبوية كثيرة
ترغب فى الحج وتبين فضله ، وأنه يلى مرتبة الايمان بالله ، والجهاد فى
سبيل الله : « من حج ، فلم يرفث ، ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته
أمه » « الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » « أى الاعمال أفضل ؟ قال :
ايمان بالله وحده ، ثم الجهاد ، ثم حجة برة تفضل سائر الاعمال كما بين
مطلع الشمس الى مغربها » .

وقد ذكرت أحكام الحج فى سورة البقرة بعد احكام القتال فى سبيل
الله باعتبار أن الجهاد طريق تكوين الجماعة وبناء كيانها وحفظ وجودها .
وأما الحج فهو سبيل توحيد الامة ولم أستأثها وجمع كلمتها واتجاهها
نحو غاية واحدة . وبعدئذ أعقب الله تعالى ذكر النفاق وعلامات المنافقين
تحذيرا من خطر التجزؤ والتفرقة والدسائس ، إذ ليس هناك كالنفاق
اعظم تهديما منه لصرح بنیان الجماعة وتقويض شوكتها ، وبعبارة جهودها
وعرقلة سيرها نحو سمو الهدف المنشود ، والحج طريق نبذ المنافقين
والمنبطين المعوقين لاقامة الوحدة بين المسلمين .

وإذا خالغ الشك بعض الناس بقيمة الوحدة ، وانتابتهم مخاوف
الحفاظ على مصالحهم الشخصية ، فإن الاسلام يطمئن تلك القلوب
المتردة بأن مبدأ الاسلام وشعاره هو المساواة بين جميع الناس . والحج
يترجم ذلك المبدأ الى واقع عملى ، حيث يتمثل الحاج أنه بزيارته لبيت الله
تعالى مقبل على الله سبحانه قاصد له ، فيتجرد عن عاداته وينسلخ من
مفاسخه ومميزاته على غيره ، ويخلق كل مظاهر الدنيا ومفانيتها ،

فيتساوى الغنى مع الفقير ، ويتمثل الدنى مع الامير ، الكل عبيد لله ، وإخوة متحابون فى سبيل الله ، وكان ذلك المعنى هو أبرز ما فى خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم يوم حجة الوداع فى الثانى من أيام التشريق : « يا أيها الناس ، إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لاسود على أحمر إلا بالتقوى » .

وبما أن تنظيم الجماعة سياسيا واقتصاديا ودفاعيا وبناء الوحدة الإسلامية لا بد له من جو يسوده الاستقرار والطمانينة ، كان مكان الحج وزمانه الحرم والجلال ، وكان موسم الحج عيداً أكبر للمسلمين ، ففى جعل الحرم آمناً وقصر دخوله على المسلمين ، وفى إيقاع الحج فى الأشهر الحرم إعلان لبدا الحرية والسلام ، وإكبار لشأنهما وتمكين من ممارستها دون خوف من سلطان جائر أو حاكم ظالم أو مفسد عاتٍ .

وفى أجواء الحرية والسلام والمساواة بحق تنبت الافكار الصالحة وتنبها الخطط الملائمة وتوضح معالم الشخصية الإسلامية الذاتية التى تريد الاستقلال والوحدة والتقدم وإقامة العدالة الشاملة فى شؤون الحياة ، وأخصها الاستفادة من منتجات البلاد وعطاء الله الخير : « خلق لكم ما فى الأرض جميعاً » أى أن جميع ما فى الكون مخصص للناس على جهة الانتفاع المشاع ، دون استئثار ولا احتكار ولا استغلال .

وحيثما تقلب الحاج لاداء مناسك الحج يجسد لفنة قرآنية السى ضرورة التآخى والتعاون وتغيير مفاصد المجتمع وتجديد شباب الحياة وقلب الأوضاع الاجتماعية بأعدل الوسائل وأكرم الغايات ، ففى قوله تعالى بعد ذكر بعض أحكام الحج : « وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولى الألباب » فى ذلك حث على فعل الخير والتزود من التقوى ، والخير اسم جامع لكل الفضائل الاجتماعية ، والتقوى التى هى التزام الأوامر والنواهى الإلهية عنوان بارز على التقيد بأداب المجتمع كما حددها الله ، ومن أولى الأوامر وأهمها المطالبة بوحدة الجماعة الإسلامية ودعائها : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » .

وفى قوله سبحانه : « فاذا قضيت مناسككم ، فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً » دلالة على أهمية النتائج المستفادة من الحج ، وإدانة تذكر المطالب والمقاصد الربانية والتزام الأوامر العامة إثر التفرق فى أرض الله ، ومن أوجبها قوة الاحساس بمشاعر الاخوة ، وعواطف الايمان ، وتقوية الوحدة ، وإحكام روابطها الأساسية : « إنها المؤمنون إخوة » . ومن المعروف أن سبب نزول آية الأمر بذكر الله يوحى بضرورة التجمع على أساس الصالح العام ، فقد كان اهل الجاهلية يتفنون فى مجامعهم فى الموسم ، فيفأخرون فيها بابائهم ، ويذكرون أنسابهم وفعل آباءهم ونحو ذلك مما لا نفع فيه .

وليس في الدعوة الى الاقتصاد بين المسلمين هدف سوى قوة الجماعة ورهبة جانبها وتحقيق الخير والنفع الكبير لهم في الدنيا والآخرة ، وهذا هو شعار الحجاج المؤمنين البررة : « ومنهم من يقول : ربنا آتانا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » . أولئك لهم نصيب مما كسبوا ، والله سريع الحساب » . وقال عليه الصلاة والسلام : « الجماعة رحمة ، والفرقة عذاب » .

يتبدى لنا من كل هذه الاشارات النصية ان العبادة ولا سيما الحج لا تقصد لذاتها كما اشرنا ، وإنما لما تتمخض عنه أو تهدف إليه من إصلاح عام ، أو خير جماعي شامل . وأما الاحاديث المرغبة في الحج فهي لبعث الهمم وتحذ العزائم باعتبار أن الانسان لا يقدم على فعل شيء غالبا إلا اذا كان منساقا بغايات نفعية خاصة ، وهذا لا ننكره عملا بمقتضى الاحاديث المقررة للثواب العظيم لمن بر في حجه .

ولكن لا يصح الاكتفاء بالتمسار الخاصة للحج ، وإنما لا بد من تمثيل الاهداف البعيدة التي يرمى اليها المشرع من وراء أداء شعائر الحج وتعظيم حرماته وإطعام المحتاجين والانفاق في سبيل الله . وهذا ما يميز الفرض من فريضة الحج في الاسلام عن غيره من الديانات كاليهودية والمسيحية والبوذية مثلا التي تقصر معنى الحج على التقديس والتبريك والتطهر من الذنوب والخطايا ، أي أنه مجرد عبادة شخصية ، ولهذا فلم تثر اهتمام الأوساط الغربية عن اتباع تلك الديانات ، أما في الاسلام فقد اهتم المستعمرون الغربيون بشأن الحج ، وحاولوا كما أبنت في فاتحة مقالى عزل الحجاج عن الاهتمام بالمصالح العامة ، وقصر نشاطهم على العبادة المحضة والتزود منها للآخرة ، وترك قضايا الدنيا لاهلها وللحكام فيها ، وفي ذلك البلاء المبين ؟!

ولعل ذلك هو السبب - بالإضافة الى جهل الحجاج وعدم ادراكهم مغزى الحج - في أن الحاج الواعى يؤوب الى بلده يائسا أو آسفا على عسدم الاستفادة من طاقات هذه الجموع المؤمنة الغفيرة في مضمار الحياة العامة وقضايا الاسلام الكبرى ومصير المسلمين . وقد بدت بوارق أمل باسمة وصيحات اسلامية واعية بضرورة الاستفادة من موسم الحج وعقد مؤتمرات اسلامية متكررة ، لكننا مع الاسف لم نجد للآن صدى وتجاوبا صادقا في تنفيذ مقررات تلك المؤتمرات ، مما يؤكد ما ندعو إليه من أن الحكام هم المسؤولون عن توحيد روابط المسلمين في العصر الحاضر .

اليَمِينُونَ واليسَارِيُّونَ

- ١ -

اليَمِين واليسار في اللغة امرهما ذاتان معروف ، وقد أصبحت الكلمتان تطلقان على المعتدل والمتطرف ، وعلى السهل والصعب ، وعلى المعقول وغير المعقول من المعتقد والمذهب والآراء .
والفضل في استعمال هاتين الكلمتين بهذه المعاني ، وفي ذيوعهما يرجع للقرآن الكريم وحده ، فهو الذي كان له السبق الاول في ذلك كله ، وعن القرآن الكريم أخذ القدماء والمحدثون يستعملونهما ويرددونهما كثيرا في احاديثهم ومحاور كلامهم ..
وليس هناك اليوم كلمات ذاتة مشهورة ، تتردد على اللسان كهاتين الكلمتين ..

وفضل القرآن الكريم ، على اللغة ، وعلى التجديد والتطور اللغوي ، في التقديم والحديث ، لا يحتاج الى بيان ، فالفاظه وأساليبه هي التي أمدت أبنائنا بكثير من كنوز اللغة وطرائفها وأمايلها ، وصقله للالفاظ ، وتهذيبه للأساليب وتخليده لصور البيان الرائعة والأساليب البديعة ، والبلاغة النادرة ، مما لا يحتاج الى بيان ، ولسنا في حاجة للدلالة عليه الى برهان ..

- ٢ -

ولاول مرة في اللغة العربية يرد استعمال اليمين واليسار بالمعاني السابقة في كتاب الله الحكيم ، فليست هناك نصوص أدبية أقدم من القرآن الكريم ، يتردد فيها ذكر هاتين الكلمتين للدلالة على المعتدل والمتطرف من المعتقد والمذهب والافكار ، أو على الجزاء الالهي العادل في الآخرة لأهل اليمين وأهل اليسار .

في القرآن الكريم

للكوثر محمد بن يوسف خواجه

ومن الجدير بالذكر أن القرآن الكريم يستعمل اليمين في كل قصد واضح وجليل ونبيل وانساني من العقائد ، وليس هناك لفظ أخف استعمالاً ، ولا أدق معنى ، ولا أبلغ دلالة من هاته الكلمة فيها استعملت فيه من مقاصد واليمين ترمز الى اليمين ، والحظ الطيب ، والتفاؤل الكريم ، والطريق اللاحظ والى سلوك السبيل السوي ، والى مرضاة الله وثوابه لسالكها .

وقد استعمل الشمال في الدلالة على عكس ذلك كله ، وفي لفظة الشمال رمز الى تنكب الفطرة ، والى البعد عن المحجة الواضحة ، والى ما في سلوك مثل ذلك من غاية اليمية ، وفي الشمال ما في الشؤم من تطير ، وهي توحى بأن طريق الشمال من وسوسة الشيطان ، كما أن طريق اليمين من هداية الله ، ولذلك استعمل القرآن الكريم كلمة الشمال لتدل على أعق معاني كلمة اليسار ، والتي نستعملها نحن اليوم مخطئين متكبكين عن الاستعمال الدقيق ، كما تنكبنا طريقنا في فهم معنى اليمين واليسار ، فعكسنا معنى الكلمتين في استعمالنا عكسنا بينا ، حتى أصبحنا ندل بكلمة اليمين على الجمود والتأخر والرجعية ، وبكلمة اليسار على التحرر ونبذ القديم والدين والعقيدة ، نظن أن ذلك هو سبيل التقدم والنهوض وحاشا لله أن يكون في أطراح العقيدة ونبذ الدين تقدم أو نهوض أو تحرر . ومن ثم كان استعمال القرآن الكريم لكلمة (الشمال) ، وإيثاره لها على كلمة (اليسار) ، أعقق فهمها ، وأدق مسلكاً ، وأدل على المقصود منها .

وفى القرآن الكريم من سورة الحاقة يقول الله تعالى : « فاما من اوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقراوا كتابيه . انى ظننت انى ملائق حسابه . فهو فى عيشة راضية . فى جنة عالية . قطوفها دانية . كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم فى الايام الخالية . واما من اوتى كتابه بشماله فيقول : يا ليتنى لم اوت كتابيه . ولم ادر ما حسابه . يا ليتنى كانت القاضية . ما اغنى عنى ماله . هلك عنى سلطانيه . خذوه فقلوه . ثم الجحيم صلوه . ثم فى سلسلة ذرعها سمعون نراعا فاسلكوه . انه كان لا يؤمن بالله العظيم . ولا يحض على طعام المسكين . فليس له اليوم هاهنا حميم . ولا طعام الا من غسلين . لا ياكله الا الخاطئون » (الحاقة — الايات ١٩ — ٣٧) .

والصورتان هنا متقابلتان ، وعلى غاية ما تكون البلاغة والروعة والبيان والسر والاعجاز ، وفيهما من تطويع الاسلوب وموسيقاه وجهاله ما لا نجد له نظيرا ولا شبيها من كلام ابلغ البلغاء أو أعظم الشعراء . والبلاغة القرآنية هنا تسير فى طريقها الجليل النبيل ، من خدمة الانسانية ، وهداية البشرية الى الحق والى الله والى مثل الحياة وقيمها الرفيعة ، واللفظ هنا بقدر المعنى ، والاسلوب والبيان يسيران مع العقل والمنطق والحكمة . . ولا يمكن لواصف أن يصف شتى عناصر البلاغة والنظم فى هذا النص القرآنى العظيم ، لان القرآن استعصت بلاغته على فهم البلغاء ، وعلى فلسفة النقاد ، فلم يعودوا يعرفون من أمر هذه البلاغة شيئا الا انها من كلام الخالق العظيم والاله القادر الحكيم .

وفى سورة الواقعة يذكر الله عز وجل اهل الميمنة ، واهل المشامة ، وطبقة الثالثة هى طبقة السابقين المقربين ، ويبدأ بذكر الطبقتين الاوليين لوضوحهما وكثرتهما ، وانهما الغالبية العظمى من بنى البشر ، ويؤخر الكلام على الطبقة الثالثة ، اقلتها وندرتها ودقة أمرها . والسورة كلها فى الحديث عن هذه الطبقات الثلاث ، من بدئها لختامها . . ولننظر فى آياتها الكريمة ، نقف عندها ، نتأمل جلالها وروعيتها ، وسحرها وحكمتها ، لننتهم دلالتها فى حياة الانسانية كلها ، فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها .

يبدأ الله عز وجل سورة الواقعة بذكر وقوع الواقعة ، اى قيام القيامة واثرها العظيم على الانسان والكون . . « إذا وقعت الواقعة . ليس لوقعتها كاذبة » . .

نعم إنها حق وصدق .

« خافضة رافعة . إذا رجت الارض رجا . وبست الجبال بسا . فكانت هباء منبثا . »

ثم يذكر الله عز وجل أقسام البشر يومئذ ، يحسب أعمالهم ومنازلهم من الله عز وجل ..

« وكنتم أزواجا ثلاثة . فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة . وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة . والسابقون السابقون » .

ثم يذكر نصيب السابقين في الآخرة من رضاء الله ونعيمه ، وحظهم فيها من الخير والجزاء الجميل .. وبدأ بهذا القسم الثالث تنويعا وتعظيما وتشريفا وتجيلا لمقامهم عند الله .

« أولئك المقربون . في جنات النعيم . ثلة من الأولين (١) . وقليل من الآخرين (٢) . على سرر موضونة . متكئين عليها متقابلين . يطوف عليهم ولدان مخلدون . باكوأب وأباريق وكأس من معين . لا يصدعون عنها ولا ينزفون . وفاكهة مما يتخيرون . ولحم طير مما يشتهون . وحور عِين . كأمثال اللؤلؤ المكنون . جزاء بما كانوا يعملون . لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما . الا قتيلا سلاها سلاها » .

وهكذا تمضي هذه السورة الرفيعة ، جليلة كريمة ، ساحرة باهرة . تتحدث عن السابقين ومنزلتهم في الآخرة عند الله عز وجل .. وليس غرضنا هنا أن نفسير السورة ، ولكننا نقصد الى بيان مضمونها وحده ، وصلة هذا المضمون بهاضى وحاضر ومستقبل الإنسانية ، ومن ثم فلم نعرض لتفسير الآيات ، ولا لتوضيح الصور ، ولا لبيان بلاغة الأساليب ، فهي ماثلة أمام كل ذى ذوق ، واضحة عند كل ذى طبع وموهبة من البيان .
ثم يذكر الله عز وجل أهل اليمين ، وما أعد الله لهم في الآخرة من نعيم ..

« وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين . في سدر مخضود . وطلح منضود . وظل ممدود . وماء مسكوب . وفاكهة كثيرة . لا مقطوعة ولا ممنوعة . وفرش مرفوعة . إنا أنشأناهم انشاء . فجعلناهم أبكارا . عربا أترابا . لأصحاب اليمين . ثلة من الأولين (٣) . وثلة من الآخرين » (٤)
وتنتقل السورة الكريمة المكية ، وهي سورة الواقعة ، الى ذكر أصحاب الشمال ، وما أعد لهم في الآخرة ، من وبال ، وما يلقونه فيها من نكال ..
« وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال . في سموم وحميم . وظل من يحوم . لا بارد ولا كريم . إنهم كانوا قبل ذلك مترفين . وكانوا يصرون على الحنث العظيم . وكانوا يقولون : أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون ؟ أو آبأؤنا الأولون . ؟ قل إن الأولين والآخرين . لمجموعون الى ميقات يوم معلوم » ..

وتستمر السورة في خطاب هؤلاء الشماليين ، وبيان جزائهم في الآخرة ، وفي الحجاج معهم رغبة إقناعهم بالبعث وصدق الأمر فيه وإمكان حدوثه عند العقل ، لأن قدرة الله لا يستعصى عليها شيء . ولا يعجزها أمر في الأرض ولا في السماء .

ثم تتحدث السورة الى الرسول الكريم عن القرآن العظيم ، وأنه تنزيل من رب العالمين .. وتعود الى جدال هؤلاء المشركين المكذابين الضالين والى مصيرهم عند الموت .. (٥٠ - ٨٧ من السورة) .

وتلخص السورة ما تتلقى الملائكة به عند الموت كلا من هؤلاء الطبقات الثلاث :

« فأما ان كان من المقربين . فروح وريحان . وجنة نعيم . وأما ان كان من أصحاب اليمين . فسلام لك من أصحاب اليمين . وأما ان كان من المكذبين الضالين . (٦) فنزل من حميم . وتصلية جحيم . ان هذا لهو حق اليقين . فسيح باسم ربك العظيم (٧) » .. وهكذا مضت هذه السورة سورة الواقعة ، فى ذكر كسر اليمينيين واليساريين ، وفى ذكر طبقة رفيعة من خيار الانسانية واصفيائها ، وهى طبقة السابقين المقربين .

على ما راينا من الجلال والحكمة والروعة والبلاغة والبيان والسحر ، سارت الى هدفها المقصود من تبصير الانسانية وهدايتها واضاءة الطريق امامها ، ورسم النهايات المحتومة للبشر واضحة امام عقلها ومخيلتها وعينيها ، ليهتدى من اهتدى عن بينة ، وليضل من ضل عن بينة .



وجملة ذلك كله ان الله عز وجل تحدث فى كتابه الحكيم عن اليمينيين واليساريين ، ووصف كلا باوصافه ، وابان ما ينال كل منهما من جزاء فى الآخرة عند الله ..

فاذا كان الامر عند المسلمين المعاصرين قد انقلب الى النقيض ، فصار اليمينيون عندهم كأنهم المتبذون أصحاب الشمال ، وصار اليساريون عندهم هم المختارون وكأنهم أصحاب اليمين ، فان ذلك من وسوسة الشيطان ، ومن انقلاب الميزان ، ومن فساد المنطق بتأثير مسموم الصهيونية ، التى تنفث فى عقول ضعفاء الدين شرورها ، لتضلهم عن الطريق ، وتبعدهم عن الهدف ، وتقصيهم عن رضاء الله ، وعن سبيل العزة والقوة والكرامة ، ولتنقلهم من حالة الذاتية والشخصية الواضحة الى حالة اخرى من التبعية الذليلة والتقليد الأعمى لكل ضال وضار من المذاهب والعقائد والآراء . وفى ذلك للمسلمين المعاصرين الهوان والذل والشقاء الأبدى المقيم .

اللهم اجعلنا من اهل اليمين ، وابعدنا عن ضلالات اهل الشمال ، وانزل علينا من رحمك ، ما يهدينا الى سواء السبيل .

-
- (١) أى هم عدد ضئيل من الامة السابقة .
 - (٢) وعدد قليل من اتباع رسالة محمد آخر الرسالات .
 - (٣) أى هم عدد قليل من الديانات السابقة .
 - (٤) وعدد قليل من اتباع رسالة الاسلام آخر الرسالات .
 - (٥) أى أو يبعث كذلك مما أبأونا الاولون ؟ ممن مضت عليهم آلاف السنين وهم فى أجدانهم راقدون .
 - (٦) وهم اهل المشاهدة .
 - (٧) الخطاب هنا لرسول الله دنى الله عليه وسلم ..

الامام أبو حنيفة



للكلور محمد داود شبيبة

فى مقال سابق تحدثت عن بعض جوانب حياة إمام الفقهاء ، وهو الامام أبو حنيفة النعمان ، أحد الائمة المتبوعين والمشهورين ، وقد ركزت عنايتى فى ذاك المقال على نفي تهمة الصقت بالامام زورا من قديم الزمان ، وهى قلّة بضاعته فى الحديث ، واليوم أعرض لجوانب أخرى من حياة هذا الامام الكبير ، ولا سيما اجتهاده الفقهى ، ومنحاه فى هذا الاجتهاد ، فأقول وبالله التوفيق .

تحول فى حياة الامام

لم يشغل الامام فى صغره ومبدا حياته بطلب العلم ، والاختلاف الى مجالس العلماء ، وانما كان يختلف الى الاسواق ، فقد كان يحترف التجارة فى البز (١) ، وفى غدوة من غدواته الى السوق ، مر على الامام الشعبي وهو جالس . فدعاه ، فقال له : الى من تختلف ؟ فقال أبو حنيفة : اختلف الى فلان — يريد رجلا معروفا بالتجارة — فقال الشعبي : لم أعن السوق ، عنيت الاختلاف الى العلماء ، فقال له أبو حنيفة : أنا قليل الاختلاف اليهم ، فقال له الشعبي : لا

تفعل ، و عليك النظر فى العلم ، ومجالسة العلماء ، غانى ارى فيك يقظة وفطنة ، فقال ابو حنيفة : فوقع فى قلبى من قوله ، فتركت الاختلاف الى السوق ، واخذت فى العلم فنفعتنى الله به .

استقاله فى اول طلبه بالجدل والكلام

وقد رأى ابو حنيفة فى اول طلبه للعلم الاسلام يتعرض للطعن من بعض الطوائف كالزنادقة واضرابهم ممن دخلوا فى الاسلام وهم يضمرون الكيد والعداء كما رأى ظهور كثير من الطوائف المتدعة الذين ابتدعوا فى الاسلام ما ليس منه كالروافض ، والخوارج ، والمرجئة ، والقدرية الذين يزعمون ان لا قدر ، وان الامر انف (٢) ، فاشتغل فى اول امره بعلم الجدل ، والكلام ، والرد على الروافض والخوارج والزنادقة واضرابهم ، وقد اكسبه هذا اللون من المعرفة قوة فى الحجاج والجدل واتحام الخصوم ، والمرونة العقلية الفائقة ، والقدرة على حل المشكلات والمعضلات ، وسرعة البديهة فى المجادلة ، والمناظرة مما سنعرض لشيء منه فيما بعد .

ثم خطر له خاطر فقال : ان المتقدمين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقابعين من بعدهم ، لم يكن فيهم شيء مما نذكره نحن ، وكانوا عليه اقدر ، وبه اعرف ، واعلم منا بحقائق الامور ، ولم يروا منازعين ، ولا مجادلين ، ورايت خوضهم فى الشرائع ، وابواب الفقه ، فبدا له فى الامر بداء (٣) - .

استقاله بالفقه

وبينما هو على هذا الحال ، وكان يجلس بالقرب من حلقة الامام حماد بن ابي سليمان الذى صار فيها بعد اجل اساتذة ابي حنيفة ، واعظمهم تكويناً له ، وتأثيراً فيه - اذ جاءته امرأة فقالت له : رجل له امرأة اراد ان يطلقها للسنة ، كيف يصنع ؟ قال ابو حنيفة : « غلم ادر ما اقول ، وسقط فى يدي فأمرتها ان تسأل حمادا ، ثم ترجع الى فتخبرنى ، فذهبت فسالت حمادا ، فأجابها ثم رجعت فأخبرتني وكان لهذه الحادثة تأثيرها فى نفسه فقال : لا حاجة لى فى الكلام فأخذت نعلى وصرت اجلس الى حماد اسمع مسائله واحفظ قوله حتى قال : « لا يجلس احد فى صدر الحلقة بحذاءى غير ابي حنيفة فصحبته عشر سنين » فقال ابو حنيفة فنازعنى نفسى الطلب للرياسة يعنى ان يتصدى للتدريس ، فأحببت ان أعزله واجلس فى حلقة نفسى ، فخرجت ليلة ، وعزمنى ان افعل ، فلما دخل المسجد ورأيت لم تطب نفسى ان أعزله ، فجلست معه ، ولاهر ما ، تخلف حماد عن الدرس ، فأمر ابا حنيفة ان يجلس مكانه ، فوردت عليه مسائل ، فكان يجيب عنها ويكتب الجواب ، وبعد شهرين قدم أستاذة حماد ، فعرض عليه ابو حنيفة المسائل التى افنى فيها فوافقه فى اربعين مسألة وخالفه فى عشرين فالتى الامام ابو حنيفة على نفسه الا يفارق شيخه حمادا أبداً حتى يموت ، فلم يفارقه حتى مات بعد ما اخذ عليه كل ما كان عنده من علمه ، وكان كثيراً ما يناقش شيخه حمادا ويسأله ، وينظره حتى كان ربما يتبرم منه لذلك روى عن الامام انه قال : « لزمتم

حمادا لزوما ما أعلم أحدا لزم أحدا مثل ما لزمته ، وكنت أكثر السؤال فربما يتبرم بنى ، ويقول : « يا أبا حنيفة قد انتفخ جنبى ، وضاق صدرى » . ولعلك أيها القارئ الكريم على ذكر من الكلمة الصادقة المعبرة عن غاية الاستقصاء التى قالها له شيخه حماد : « لقد أنزفتنى » .

تاهل أبى حنيفة للاستاذية

ولما مات شيخ الإمام حماد فكر طلاب العلم والمعرفة فبين يقوم مقامه فأجلسوا كثيرين من أهل العلم فلم يجدوا عندهم كبير غناء (٤) ، ثم أجلسوا الإمام أبا حنيفة ، فوجدوا عنده من العلم والفقه ما لم يجدوه عند غيره ، ووجدوا عنده فى سائر المعارف ، والثقافات السائدة آنئذ نفاذا ، وسعة أفق وعلم غزيرا فزيموه وتركوا غيره ، وعظم شأنه حتى صارت حلقة أعظم حلقة فى المسجد ، فتخرج به اقوام صاروا أئمة فى العلم من أشهرهم الفقهاء : أبو يوسف ، ومحمد ابن الحسن الشيبانى ، وظفر بن الهذيل العنبرى ، وواعظ زمانه الحسن البصرى ، وإمام أهل المغازى محمد بن اسحاق بن يسار صاحب السيرة المشهورة ، ومتصوف زمانه ابراهيم بن ادهم وغيرهم .

وكذلك كان مرجع الناس فى الفتوى وحل المشكلات المستعصية والمسائل العلمية العويصة ، بل كانوا يرجعون اليه فيها يعتريم فى حياتهم الدنيوية ، فيجدون عنده المعونة الصادقة والحل الموفق لا يدخل بلدا الا اجتمع عليه الناس ، فيجدون عنده المعونة الصادقة والحل الموفق لا يدخل بلدا الا اجتمع عليه الناس ، وسأله ، قال الإمام الليث بن سعد محدث مصر ، وعالمها وفقهائها : كنت اتبنى رؤية أبى حنيفة حتى رأيت الناس متقصين (٥) على شيخ قتال له رجل يا أبا حنيفة وسأله عن مسألة ، فوالله ما أعجبنى صوابه ، كما أعجبنى سرعة جوابه .

منحاه فى الاجتهاد

الإمام أبو حنيفة كغيره من الكثيرين من أئمة الفقه والاجتهاد يأخذ بالاصول الاربعة ، التى تستنبط منها الاحكام ، ويعرف الحلال والحرام : ١ - الكتاب ٢ - السنة ٣ - والاجتماع ٤ - والقياس والثلاثة الاولى قدر متفق عليه بين جميع الفقهاء ، أما القياس فهو محط خلاف الفقهاء فى الاخذ به أو عدم الاخذ به ، والآخرين به يختلفون فى الاخذ به قلة وكثرة ، فمنهم الكثير ومنهم القليل لاصول أصلوها وقواعد وضعوها .

وقد كان الإمام أبو حنيفة - رضى الله تعالى عنه عالما بالاصلين الشريفين ، اللذين اليهما عند التحقيق مرجع جميع الاحكام ، وهما القرآن الكريم والسنة المطهرة ، علما أهله لان يكون إماما كبيرا بين أئمة الاجتهاد فى الاسلام ، أما علمه بالقرآن الكريم ، وأسباب نزوله ، وأول ما نزل ، وآخر ما نزل ، وتدرجه فى التشريع ، ومكيه ومدنيه ، وعامه ، وخاصه ، ومطلقه ، ومقتده ، ومحكمه ، ومتشابهه ، وناسخه ، ومنسوخه فهذا ما أقر به الموافق والمخالف ، وأما علمه بالمصدر الثانى من مصادر التشريع فى الاسلام فقد بينت فى المقال السابق

بما لا يدع مجالاً للشك علم الإمام أبي حنيفة بالسنة والاحاديث ، ونفيت عنه تهمة قلة بضاعته في الحديث ، ونرددة ما صح عنه من احاديث .

وقد بين لنا الإمام أبو حنيفة منهجه في الاجتهاد ، فقد روى عنه أنه قال : « آخذ بكتاب الله ، فان لم أجد في كتاب الله فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان لم أجد في سنة رسول الله أخذت بقول أصحابه من شئت وأدع من شئت ، ولا أخرج عن قولهم الى قول غيرهم فاما اذا انتهى الامر الى ابراهيم يعني النخعي — والشعبي وابن سيرين والحسن يعني — البصري — وعطاء — أي التابعين — فقوم اجتهدوا ، فاجتهد كما اجتهدوا » وروى عنه أيضا أنه قال « اذا جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « فعلى الرأس والعين » وإذا جاء عن الصحابة اخترنا ولم نخرج عن رأيهم ، وإذا جاء عن التابعين زاحمانهم » (٦) وقد قدمت في المقال السابق أن الإمام أبا حنيفة يعتبر من التابعين لانه لقي بعض الصحابة بل قيل إنه روى عن بعضهم فهو حينما يزاوهم ويجتهد مثلهم غلأنه من طبقتهم ، وهو منهج لا غبار عليه .

ولكن بعض الحاسدين له ، والحاقدين عليه رموه بأنه لا يأخذ بالاحاديث والآثار ويغلب الرأي والقياس عليها . وها هو الإمام يدافع عن نفسه فيقول : « عجباً للناس يقولون أفتى بالرأي وما أفتى الا بالاثار » .

وقال لما سئل عن الكلام في الامراض ، والاجسام : هذه مقالات الفلاسفة عليك بالاثار وطريقة السلف واياك وكل محدثة فان كل محدثة بدعة (٧) ، فهل بعد هذه المقالات الواضحة البينة يدعى مدع أن الإمام كان لا يأخذ بالاحاديث والآثار (٨) .

نعم اذا لم يجد في القرآن والسنة والاحاديث وضاق عليه الاستدلال بها ولم يكن في المسألة أجماع فليس الا إعمال الرأي والاجتهاد وهذا هو ما دل عليه الحديث المشهور أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل الانصاري الخزرجي ، الإمام المتقدم في علم الحلال والحرام حين بعثه الى اليمن في السنة العاشرة للهجرة اميرا وقاضيا ومفتيا « كيف تصنع إن عرض لك قضاء » قال بما في كتاب الله ، قال « فان لم يكن في كتاب الله » ؟ قال : فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فان لم يكن في سنة رسول الله ؟ قال : اجتهد ، وإنى لا آلو — أى لا أقصر . — قال : فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدرى (٩) ، ثم قال « الحمد لله الذى وفق رسول الله لما يرضى رسول الله » رواه احمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه ، وهذا تقرير قولى من النبى صلى الله عليه وسلم لطريقة معاذ ، ومنهجه في الحكم والاجتهاد — وقد شاع على السنة بعض أهل العلم ولا سيما المتحاملين منهم على الإمام أبي حنيفة أنه لا يأخذ بكثير من الاحاديث ، وأنه يرجح الرأي والقياس عليها ، وهى مقالة فيها تجن على الإمام ، ومجاناة للحق والواقع ، واليك ما قاله إمام اشتهر بحدة اللسان ، وصراحة النقد ، وعدم المداهنة في الحق ، وهو الإمام أبو محمد ابن حزم الاندلسي قال : وجميع أصحاب أبي حنيفة مجمعون على أن مذهب أبي حنيفة : أن ضعيف الحديث أولى عندهم من القياس ، والرأي : فهو لا يقيس الا اذا انسدت عليه مسالك الاستدلال بالاحاديث التى يحتج بها .

وقد بينت أن الإمام له شروط شديدة في الحكم على الاحاديث بالصحة

والحسن ، ومعاذ الله أن يترك حديثا صحيحا ، ثم يحتج بالقياس والرأى ، وما عسى أن يبدو فى نظر بعض العلماء والباحثين أنه كذلك بادئ الرأى ، فعند التحقيق والتدقيق يظهر أنه ليس كذلك ، وأرجو أن تتاح لى الفرصة للحديث عن ذلك فيها بعد إن شاء الله تعالى .

على أنى أحب فى هذا المقام أن أقول : أن المجتهد مهما جلت منزلته واتسع علمه بالأحاديث والآثار لا يلزم أن يبلغه كل حديث مروى ، ولو بلغه فليس بلزوم أن يصح عنده ، ولو صح عنده فليس بلزوم أن يأخذ به لانه قد يكون — ولو فى نظره هو — مرجوحا ، أو منسوخا ، أو مخصصا بدليل آخر أو مقيدا ، أو غير ذلك مما يعرفه أهل العلم بأصول الفقه ، ومسالك الاجتهاد فى الاسلام ، ومن ثم كان اختلاف الائمة فى الفروع الفقهية مع أنهم جميعا كان معولهم فى استنباط الاحكام الفقهية على القرآن والسنة ، وكانوا ينشدون الحق والصواب لا ييغون بهما بدلا ، ولم يكن للهوى النفسى ، والتعصب للرأى بغير حق أى أثر فى استنباطاتهم ، واجتهاداتهم ، وإذا حدث فى بعض العصور تعصب مذهبى فقد كان ذلك فى العصور المتأخرة ، ومن اتباع الفقهاء المتأخرين حينما كسدت سوق الاجتهاد وغلبت ملكة التقليد .

وقد نقل الامام الشاطبى فى الموافقات انه ما من إمام من الائمة الاربعة الا صح عنه أنه قال : « اذا صح الحديث فهو مذهبى ، واضربوا بقولى عرض الحائط » وهذا هو اللائق بمقام أثمتنا الكبار وأخلاقهم ، وجلال أقدارهم .

هذا ولا يزال فى الحديث عن الامام الاعظم أبى حنيفة مجال ومجال ، فالى المقال الآتى إن شاء الله تعالى .

(١) فى القاموس المحيط : البز : الثياب ، أو متاع البيت من الثياب ونحوها ، وبائعه البزاز ، وحرفته البزازة .

(٢) أى مستأنف : أى أن الله لا يعلم بالاشياء قبل وقوعها ، وقد تطورت كلمة القدرية فأصبحت وصفا لمن يقولون أن العبد يخلق أفعاله الاختيارية وهم المعتزلة .

(٣) أى ظهر له رأى .

(٤) غناء بفتح الغين — أى نفع واستغناء بهم عنه .

(٥) مجتمعين فى التزامهم عليه .

(٦ ، ٧) عقود الجمان فى مناقب أبى حنيفة النعمان مخطوط بمكتبة الحرم المكى .

(٨) الحديث : هو قول النبى صلى الله عليه وسلم ، وأفعاله ، وتقريراته ، وصفاته الخلقية ، والآثر : هو ما روى عن اصحابه من أقوالهم وأفعالهم من غير أن يرفع وينسب الى النبى صلى الله عليه وسلم .

(٩) يعنى بيده تثبيتا لما فى قلبه من هذا العلم المكتوز ، واللفقه الاصيل ، وزيادة شرح لصدوره .

المفقود والموجود..

للمستاذ محمد الرحمن محمد شادي

طالما وجدت الكتب من ينفق عمره في مطالعتها وحفظها وصيانتها ولا يبخل عليها بشيء من ماله .. أما النكبات والمحن والبؤس الذي صادفته الكتب فشيء محزن كان نتيجة لعواصف الحقد البشرى الذي أتى فيها أتى على الكتب فدمرها وأحرقها وفعل بها الأفاعيل ومزقها شر ممزق ، وويل للمغلوب من الغالب ، وللناسك من الفاتك ، وللمفكر من الذين لا يعرفون إلا الظفر والنايب والمخلب .

وقد خطر لى أن أجمع من مطالعاتى بعض حوادث بؤس الكتب ونعيمها وحين يطالع القارئ هذه الحقائق التاريخية والبيانات الواردة فى البحث فسيرى فداحة النكبة وبشاعة المحنة التى تعرض لها هذا التراث . ولم يبق للأمة العربية والإسلامية بعد هذه الكوارث التى تعرضت لها الكتب ودورها وخزائنها — وأصيب بها الفكر العربى والإسلامى فى المصميم — إلا واحداً فى الألف ، أما ما ضاع فهو تسعة وتسعون وتسعمائة كما قال المرحوم أحمد زكى شيخ العروبة .

وقد صدق فيما قال ولم تتطرق المبالغة الى كلامه فى قليل ولا كثير وتبدو فداحة هذه الخسائر اذا علمنا ان بعض العلماء كالبيرونى كان فهرس كتبه فى نحو ستين ورقة بخط مكتنز فى علوم النجوم ، والهيئة والمنطق والحكمة وقد رأى ياقوت (١) هذا الفهرس لكتب البيرونى فى وقف الجامع بمرور . . .

وهذا مثل آخر عن ابن حزم العالم الاندلسى المشهور روى نجله الفضل ابو رافع انه اجتمع عنده بخط ابيه من تأليفه نحو اربعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة ، وبلغت مصنفاته حمل بعير ولم يتعد أكثرها عتبة باديته (٢) .

والجاحظ أيضا من المكثرين فى التأليف ، فله أكثر من ثلاثمائة وخمسين كتابا .

والكندى له مائتان وثلاثون كتابا .

والرازى له مائتان من الكتب ، أشهرها الحاوى فى الطب والمنصورى فى التشريح .

وابو العلاء المعرى له هذا العدد من الكتب أيضا ، وشعره وحده أكثر من مائة ألف بيت .

ومن اراد أن يستكثر من المعلومات فى هذا الشأن فليطالع كتاب عقود الجواهر ، فيمن لهم خمسون تصنيفا فمائة فأكثر . تأليف جميل العظم طبع فى بيروت ١٣٢٦ هـ ، وقد رتب العلماء فيه بحسب الشهرة ، ولكنه جعل كتب كل عالم أو مفكر أو فيلسوف حسب الحروف الأبجدية ، وقد ذكر الكتب ولم يبين الموجود والمفقود والمطبوع والمخطوط بصفة مطردة ، وان كان قد فعل ذلك أحيانا ، وفيه كتب الغزالي وابن العربي وابن الجوزى الخ. هذا من جهة العدد ، أما ضخامة حجم الكتب فيكفى أن نذكر أن بعضها بلغ (٣) ثلاثمائة مجلد وهو كتاب الشامل فى الطب لابن النفيس .

وبلغ كتاب الايك والفصوص لأبى العلاء المعرى مائة مجلد .

ويتبع تاريخ الاسلام للذهبى فى خمسين مجلدا ، لم يطبع منه الا خمسة فقط .

مسالك الابصار فى ممالك الامصار للعبرى يقع فى خمسة وأربعين مجلدا لم يطبع منه الا الجزء الاول فقط .

والأغانى لأبى الفرج الاصفهاني فى واحد وعشرين جزءا وطبع أكثر من مرة .

وتفسير القرطبى طبع فى عشرين جزءا . الخ .

وهذه أمثلة فقط وهناك كتب كثيرة مشهورة بضخامة حجمها وكثرة أجزائها ومجلداتها ولا يستطيع ناشر واحد أن يقوم بطبعها على نفقته ، فحبذا لو كان هناك تعاون وثيق بين الناشرين فى مختلف الدول العربية والبلاد الاسلامية ودوائر المستشرقين ، فتوزع على هذه الدور أجزاء الكتاب لتقوم كل واحدة بطبع جزء مخصوص وبذلك يتم طبع الكتاب الضخم مرة واحدة ثم تكرر هذه العملية فى كتاب آخر ، وهكذا الى أن يتم طبع جميع المخطوطات ، ولا يبقى الا الأصول فقط الى أن يسعدنا الحظ بظهور مخطوطات أخرى لا يعرف الناس عنها شيئا .

بذلك نتقدم فى هذا الميدان بدلا من التوقف الذى نعانيه أو التقدّم

البطيء ، وهذا شيء من مجهود الذين بذلوا النفس والنفس وساعدهم غناهم على ذلك فى جمع الكتب من المشرق والمغرب ونقبوا عن المخطوطات حتى جمعوا منها ثروة طائلة .

ومن هؤلاء الحكم المستنصر بالله بن عبد الرحمن الناصر الخليفة الأموى بالاندلس ، فقد كان يرسل وكلاءه وندوبين وسفراء ومبعوثيه لجمع الكتب من سائر الأمصار الاسلامية كبغداد والقاهرة ودمشق ودفع فى نسخة من كتاب الاغانى لأبى الفرج الأصفهاني ألف دينار من الذهب الخالص ، واشترى من تاريخ الطبرى نسخة بمائة دينار ، وتعددت النسخ من الكتاب الواحد عنده حتى كان فى مكتبته من كتاب الخليل بن أحمد نيف وثلاثون نسخة احداها بخط الخليل بن أحمد مؤلف الكتاب وكان عدد الفهارس أربعة وأربعين فهرسا فى كل منها عشرون ورقة .

وكان بمواصم الاندلس الأخرى غير قرطبة نيف وسبعون مكتبة (٤) . ومن هؤلاء ابن عباس وزير زهير أمير المرية أحد ملوك الطوائف بالاندلس اجتمع فى قصره أربعمئة ألف مجلد عدا الكراسات (٥) . أما المشاركة فمنهم صاحب بن عباد كانت مكتبته تحمل على أربعمئة جمل أو أكثر وإنشأ دار كتب بالرى أوقفها على طلاب العلم وكان فيها كتاب الحجة لأبى على الفارسي .

وأسس نوح بن منصور الساماني فى بخارى مكتبة يحملها أربعمئة جمل . وكانت كتب القفطى الوزير المشهور تساوى خمسين ألف دينار أوصى بها للناصر صاحب حلب ولم تكن له زوجة تشغله عن كتبه وقصد بها من الأماق لحبه لها وحرصه على اقتنائها .

أما آل عمار القضاة بطرابلس الشام فكان لهم مائة ألف ناسخ تجرى عليهم الارزاق سنويا وبلغ عدد الكتب عندهم ثلاثة ملايين . أما فى الحديث فيكفى أن نشير الى جهود المرحوم أحمد زكى شيخ العروبة فقد زار الاسكوريال بهدريد قبل ١٨٩٤ م وحصل وحده على أكثر من ستة آلاف مخطوط بالنسخ أو التصوير أو الشراء .

وجمع المرحوم أحمد تيمور عشرين ألف مجلد من الكتب المطبوعة والمخطوطة وبذل فيها الأموال بسخاء وخصوصا على المخطوطات ، وقد ضمت المكتبة الزكية والمكتبة التيمورية الى دار الكتب .

وعلى مبارك هو صاحب الفضل الأول فى انشاء دار الكتب المصرية عام ١٨٧٠ م لانتقاذ الكتب وحفظها من الضياع والأطماع وبقائها رهينة الانتفاع (٦) وقد وصف هو انشاء لدار الكتب فى كتابه المعروف الخطط التوفيقية .

ويتكون قسم كبير مما فى المكتبات العامة ودور الكتب من وقف الأفراد واهدائهم الكتب فى حياتهم وبعد موتهم .

ومن الخطوات الهامة التى تمت لانتقاذ التراث المبعثر فى أرجاء العالم انشاء معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية ، فقد بلغ ما صور وسجل (٧) من المخطوطات العربية القديمة ما يزيد على عشرة آلاف مخطوط .

وانشاء مجلة تصدر عن هذا المعهد مرتين فى العام لاحصاء المخطوطات العربية فى العالم ووصف أهم ما فيها ، والتعريف بمحتوياتها

الأستاذ عبد السلام هارون في كتابه نواذر المخطوطات في أربعة أجزاء .
ومخطوطات الموصل وداود جليبي طبع ببغداد عام ١٣٤٦ - ١٩٢٧ .
والمخطوطات اللغوية في مكتبة المتحف العراقي لأسامة ناصر
النقشبندى نشرته وزارة الثقافة والأعلام ببغداد .

ولم تكن التفرقة بين المطبوعات والمخطوطات معروفة في العصور
القديمة لم يعرفها أحد الا بعد اختراع الطباعة ، فقد كان خط النسخ
هو الاداة الوحيدة لنقل الكتاب . أما بعد أن عرف العالم الطباعة فقد
ظهر الاتجاهان ..

احصاء الكتب المطبوعة ومحاولة التعريف بها وبمؤلفيها وبموضوعاتها
ومن أقدم الكتب في هذا الموضوع اكتفاء القنوع بما هو مطبوع للمستشرق
ادورد هندريك طبع عام ١٣١٣ هـ - ١٨٩٦ م رتبته حسب العلوم والموضوعات
ثم الحقه بفهارس لأسماء الكتب والمؤلفين وبمراجعة الفهارس الثلاث يعرف
القارئ ما فاته في النظرة العجلى .

ومنها معجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف سركيس في أحد
عشر جزءا طبعة ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م مرتب بحسب أسماء المؤلفين .

ومعجم المؤلفين - عمر رضا كحالة طبع بدمشق سنة ١٣٧٦ هـ -
١٩٥٧ م في أربعة عشر جزءا ويذكر فيه كتب كل مؤلف المطبوعة والمخطوطة
وأماكن وجودها . وهو مرتب بحسب أسماء المؤلفين .

ومن قبل أن ينفصل الاتجاهان كان كتاب الفهرس لابن النديم من أوائل
الكتب التي حاولت حصر واحصاء كتب التراث العربي . وقد رتب الكتب
فيه حسب العلوم ، وجعل لكل علم مقالة خاصة ويذكر قائمة بكتب
المؤلف الذي يتحدث عنه .

وبعد بآمد طويل كان كتاب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون
للملا كاتب جليبي المشهور بحاجي خليفة محصيا لكتب التراث وقد رتبها
حسب أسماء الكتب ..

أما حديث النكبات والحن فيبدأ بحريق مكتبة الاسكندرية التي أحرق
الأسقف تيلو فيلوس جزءا منها سنة ٣٩٠ م ثم أحرق معظمها في عهد الملك
تيودوس سنة ٩٣٠ م واتهم العرب عند فتحهم لصربا حرقها وأبى الزاعمون
والمتهمون الا أن يجعلوا عمر بن الخطاب شريكا لعمر بن العاص في
هذه التهمة .

وقد صرح المستشرقون أنفسهم ببراءة العرب من هذه التهمة كما جاء
في دائرة المعارف الإسلامية ص ٣٢٨ ج ٣ الترجمة العربية الطبعة الثانية .
وخلاصة تاريخ العرب لسيدوي ص ٨١ ط ١٣٠٩ هـ .

ومنها احراق مكتبة بغداد التي انشأها الوزير أبو نصر سابور بن
أردشير الذي تولى الوزارة لبهاء الدولة أحد ملوك الديلمة ثلاث مرات
وتوفي سنة ٤١٦ هـ ببغداد ، فقد جمع فيها أكثر من مائة ألف مجلد ،

ووقف عليها الاوتاف ولم يكن في الدنيا أحسن كتبها كانت بخطوط
الاثمة المعتبرة وأصولهم المحررة كما قال ياقوت (٨) واحترقت فيها أحرق
من محال الكرخ عند ورود طغرل بك أول ملوك السلجوقية الى بغداد
سنة ٤٤٧ هـ .

واحرق الصليبيون سنة ٥٠٢ هـ — كتب آل عمار في طرابلس
الشام وسبقت الإشارة الى عددها .

ولما ورد محمود بن سبكتكين مخينة الري زعموا له ان ما في مكتبتها
هو كتب الروافض وأهل البدع واستخرج ما كان منها في علم الكسلاّم
« وأمر » بحرقه (٩) وكان فهرس مكتبتها في عشرة أجزاء .

أما مكتبة بخارى فقد أحرقت وأتهم ابن سينا بإحراقها بعد ان حصل
ما فيها من العلم لئلا يعرف احد من أين أخذ علمه وهذا مستبعد (١٠) وكان
في ساوة وهي مدينة حسنة بين الري وهمدان دار كتب لم يكون في الدنيا
اعظم منها قال ياقوت ان التتار قد أحرقوها (١١) وفي مرو عاصمة
خراسان وصف ياقوت خزائن الكتب التي كانت بها وانها بلغت عشر خزائن
وقد نسي من حبها كل بلد حتى الأهل والولد كما قال هو في معجمه
المشهور .

« ١ » ص ٣٤٢ ج ٢ بلدان ياقوت .

« ٢ » ص ٣١٥ ج ٢ ادباء ياقوت ط مرجليوث .

« ٣ » ص ١ ج ٥ ونهايات الاعيان لابن خلطان .

« ٤ » ص ٢١ ج ٥ بلدان ياقوت .

وذكر أن في العزيزية احدى هذه الخزائن بالجامع اثنا عشر ألف
مجلد (١٢) وبلغ من سهولة الاستعارة وفرط الثقة بين الناس انه كان يجتمع
في منزله مائتا مجلد أكثرها بغير رهن تكون قيمتها مائتي دينار واضطر
ياقوت الى الرحيل فرارا من التتار وفارقها قبل النكبة وقد خربها التتار ولم
يكن للمكتب عندهم قيمة فقد اتخذوا من الكتب في بغداد جسرا يعبرون عليه
نهر دجلة ..

وفي الاندلس كانت كتب الفلسفة مضطهدة حتى أحرق عبد الرحمن
الناصر كتب ابن مسرة فيلسوف قرطبة الاول .

واحرق المنصور بن أبى عامر كتب الفلسفة أيضا ليتقرب بذلك
الى الفقهاء .

واحرقت كتب ابن حزم الفقيه الظاهري المعروف بأشبيلية في عهد
المعتضد بن عباد (١٣) .

وفي حصار البربر لقرطبة بأمر الحاجب وأضح من موالى المنصور
ابن أبى عامر بيع أكثر ما جمعه الحكم المستنصر ونهب الباقي عند اقتحامهم
المدينة .

ثم كانت الطامة الكبرى بعد الهزيمة فقد أعدم مطران طليطلة

الكردينال كيميتش جميع آثار المسلمين وأحرق ثمانين ألف كتاب عربى
بخط اليد فى الميادين والرحبات العامة بمدينة غرناطة (١٤) .

وفى احدى ساعات اليأس أحرق أبو حيان التوحيدى بيديه كتبه
التي ألفها قصدا وعمدا وكان فى عشر التسعين ، واعتذر الى القاضي أبى
سهل على بن محمد الذى كتب اليه يعذله على صنيعه ولعل كتبه الباقية
قد صدرت عنه وانتشرت بين الوراقين قبل ان يفعل فعلته تلك ..

وهذا أبو سعيد السيرافى لم يفعل ذلك بنفسه وانما أوصى ابنه
بحرق كتبه اما أبو عمرو بن العلاء فقد لجأ الى طريقة أخرى لإبادة كتبه
وهى دفنها فى الأرض ، وقد أوصى محمد بن العلاء بن كريب الهمذانى أحد
شيوخ البخارى ومسلم والسجستاني والترمذى والنسائى وابن ماجه ان
تدفن كتبه ندفنت ومات بالكوفة لثلاث بقين من جمادى الاولى سنة
٢٤٣ هـ .

وهذه طريقة جديدة وهى طرح الكتب فى البحر لجأ اليها داود
الطائى وسبقت الإشارة الى طرح التتار للكتب فى دجلة لتعبر عليها جنودهم
ومنهم من مزق كتبه وطيرها فى الريح كما فعل سفيان الثورى .
ومنهم من كان المعجز سببا فى ضياع كتبه كما حدث لعبد الله بن خلف بن
رافع المسكى أبى محمد المصرى الذى جمع تاريخا لمصر ومات وهو فى
المسودات وعجز عن تبييضها فبيع على العطارين لمر الحوائج كان لم
يكن بمصر من يعينه على تبييضه ولا ذو همة فيشتريه كما قال ياقوت (١٥) .

ولا زالت هذه المحنة قائمة لكثير من العلماء والادباء الناشئين الذين
يعجزون عن نشر كتبهم على نفقتهم ويأبى أى ناشر أن يفاخر بالطبعة الاولى
لمؤلف مجهول أو كاتب مفهور وكما أضاعت هذه العقبة الكنود من كتب
ودفنت من مواهب ..

وتنكب الكتب بعد موت أصحابها وعدم اهتمام الورثة بهواية أبيهم
وتقديرهم لما أفناه فيها من زهرة عمره وصفوة ماله ومن هذا على سبيل
الأمثال (١٦) ان مكتبة الحاج أمين الجليلى بالموصل قد تفتت بعد وفاة
صاحبها ..

ومن أسباب الضياع أيضا كثرة التنقل والاستفار لأن العالم لا يريد
أن يفارق كتبه ويحب صحبتها فى أى مكان فتعرض للضياع ..

وتعيث عوامل البلى كالعثة والأرضة والفئران فى المخطوطات
الباقية فسادا كلما طال عليها الزمن غمى لا بد أن يكتب عليها الفناء الا أن
تبعث من جديد بواسطة المطبعة فتصدر عن المخطوط الواحد آلاف النسخ
ومن ألوان المحن التى تتعرض لها الكتب السرقة والنهب والتفريق وبهذه
الطريقة نقلت وهربت الكتب فى الحروب الصليبية من قبرص وكريت
وجزائر البليار والاندلس والاستانه ومصر .. الى أوروبا .

وحرض علماء الحملة الفرنسية على مصر على أخذ الكتب ونقلها الى
فرنسا بعد الاستيلاء عليها من المساجد والزوايا .

ونقل الأتراك كثيرا من النفائس والكتب من مصر وإيران والعراق والشام إلى تركيا في مختلف الأزمنة .

ولذلك كانت مكتبات أوروبا وتركيا غنية وعمارة بالمخطوطات وخصوصا بريطانيا وفرنسا وإيطاليا والفاثيكان وألمانيا وهولندا وروسيا وأمريكا . ومن هذه الحوادث أن مكتبة مولاي زيدان كانت في سفن ثلاثة فاستولت عليها مراكب الأسبانيين سنة ١٦٧١ م ١٠٨٢ هـ وأودعت في قصر الأسكوريال وضاعت كمية ضخمة من المخطوطات عند هجوم الفرنسيين واحتلالهم لتونس عام ١٥٣٦ م وأحرقوا ما في قسطنطينة من الكتب المخطوطة والمطبوعة عند احتلالهم للجزائر سنة ١٨٣٠ م . . .

وغالبا ما تجنى المحن التي يتعرض لها العلماء والادباء والفلاسفة والمفكرون على كتبهم ومن هذه المحن الاضطهاد بسبب مخالفته رأيه لمن يضطهده وقد ذكرنا مصير كتب ابن مسرة وابن حزم .

١ - وهذا ابن الأبار قتل طعنا بالحرايب لأنه هجا السلطان سنة ٦٥٨ وفي اليوم التالي أحرق رفاتة ومصنفاته وأشعاره وأجازاته العلمية محرقة واحدة (١٧) .

وهذا شهاب الدين السهروردي قتل بحلب ٥٨٧ هـ قاربت كتبه الخمسين ولم يبق منها الا هياكل النور طبع ومجموعة ضخمة في الحكمة الالهية نشرتها له جمعية المستشرقين الالمانية (١٨) .

وسأذكر بعض الامثلة على ضياع معظم كتب العلماء .

هذا ياقوت مؤلف معجم البلدان والادباء والمشارك لم يبق من كتبه الا هؤلاء الثلاث فقط . .

والقفطى الوزير الاديب بلغت مؤلفاته ستة وعشرين ولم يبق منها الا ثلاثة فقط (١٩) .

وابو حيان الاندلسي المولود بقرنطة في شوال ٦٥٤ هـ والمتوفى بالقاهرة ٧٤٥ ألف وخمسة وستين مصنفا كثير منها في أكثر من مجلد ولم يبق له الا خمسة عشر (٢٠) .

وابن الخطيب الوزير المشهور صاحب كتاب الاحاطة في تاريخ قرنطة بلغت مؤلفاته ستين لم يبق منها الا ثلثها (٢١) .

وماذا بقى لأبى العلاء المعرى الا سقط الزند واللزوميات ورسالة الففران والفصول والغايات وهو ناقص لا يوجد الا الجزء الاول فقط . .

ورسائله ، أما الشعر فيكفى أن نذكر فيه مقالة أبو عمرو بن العلاء (٢٢) .

« ما انتهى اليكم مما قالته العرب الا أقله ولو جاءكم وانرا لجاءكم علم وشعر كثير » . .

ومن المشعراء الفلاسفة الذين ضاع شعرهم ابن الشبل البغدادي والخريبي من شعراء بغداد في عهد الامين والمأمون وابن الحجاج من شعراء بغداد في عصر ملوك الديالة وكان ديوانه في عشرة مجلدات يباع بالثمن الغالى كما روى ابن خلكان .

وهناك كتب اُتسم لها الزمان بعد عبوسه نصف ابتسامة خضاعت أصولها ولكن الترجمة أبتتها للعالم مثل شروح ابن رشد الفيلسوف الاندلسي لأرسطو فقد ترجمت الى اللاتينية والعبرية ، أما الاصول العربية فهي ضائعة . .

ومنها كتب بقی القليل من نصوصها محفوظة فی مؤلفات من نقلوا واقتبسوا عنها وعلى سبيل المثال فقد حفظ لنا الشعالي فی كتابه یتیمه الدهر شعرا كثيرا ضارعت دواوين شعرائه أو بقيت منها نسخة أو بقية صادفها رجل من أهل البصر بالكتب والتقدير لما فيها والمال الذي يشتريها فانقذه (٢٣) من العتم ومن هذا الجزء الاول من الفصول والغايات (٢٤) الذي عثر عليه محب الدين الخطيب فی دثمت اشتراه من شيخ وراقى بمكة المكرمة عام ١٣٣٧ هـ واستخرجه ورتبه ثم حفظه بالمكتبة التيمورية الى أن طبع ونشر .

أحيا الله الموتى من الكتب وبعث ما فی القبور من المخطوطات على يد الطبع والنشر . .

وبعد فكم سررت بهؤلاء الذين اشتهروا بحب الكتب وأنفسوا فی جمعها ومطالعتها وحفظها أعمارهم . . وأنفقوا كثيرا مما ملكته أيديهم من أجل الحكمة المسجلة والعلم المعروف والأدب الخالد . . وسبحان من وضع فی كل قلب ما يشغله . .

ثم حزنت وأنا أجمع هذه المعلومات التاريخية المتناثرة فی بطون الكتب والصحف حول التراث المفقود فأورثت فی الصدر غلة لا مياه النيل ترويتها ولا أمواه دجلة كما قال المرحوم أحمد شوقي . .

- (١) ص ٢١١ ج ٦ أدباء ياقوت ط مرجليوث .
- (٢) ص ٢٢٩ ج ١٢ أدباء ياقوت ط فريد رفاعي .
- (٣) ص ٤٠٢ ج ٣ دائرة المعارف الإسلامية المترجمة العربية الطبعة الثانية .
- (٤) ص ١٤٩ تاريخ العرب فی إسبانيا محمد عبد الله عنان ط ١٩٢٤ .
- (٥) ص ٤٧ ملوك الطوائف بالانكليزية لدوزي ترجمة كابل كيلاني .
- (٦) ص ٥١ ج ٩ الخطب التنويعية على مبارك مادة برنيال .
- (٧) ص ٨٧ دليل جامعة الدول العربية وبطرس غالي ١٩٧٠/٣ الإهرام الاقتصادي .
- (٨) ص ٣٤٢ ج ٢ بلدان ياقوت .
- (٩) ص ٣١٥ ج ٢ أدباء ياقوت ط مرجليوث .
- (١٠) ص ١١ ج ٥ وفيات الأعيان لابن خلكان .
- (١١) ص ٢١ ج ٥ بلدان ياقوت .
- (١٢) ص ٣٦ ج ٨ بلدان ياقوت - مرو .
- (١٣) مقدمة طوق الحمامة فی الألفاظ والآلاف .
- (١٤) ص ٣٦٥ خلاصة تاريخ العرب لسيدو .
- (١٥) ص ٥٦ ج ٨ بلدان ياقوت .
- (١٦) ص. ج مقدمة رسائل الجاحظ نشر بول كراوس ومحمد طه الحاجري ١٩٤٣ .
- (١٧) ص ١٩٥ ج ١ دائرة المعارف الإسلامية المترجمة العربية ، الطبعة الثانية .
- (١٨) أضواء من الماضي سامي الكيالي أقرأ ص ٩٢ .
- (١٩) مجلة العربي الكويتية ١٩٧٠/٣ إبراهيم القطان .
- (٢٠) ص ٥٨ ج ١ دائرة المعارف الإسلامية .
- (٢١) ص ٥٨ ج ١ دائرة المعارف الإسلامية .
- (٢٢) ص ٢٦٩ ج ١ دائرة المعارف الإسلامية .
- (٢٣) ص ١٧ طبقات الشعراء لابن سلام الجعفي .
- (٢٤) مقدمة الفصول والغايات لأبي العلاء المعري .

الحج من الحجاج

للأستاذ : جابر حمزة فراج

ان الناظر الى اداء فريضة الحج يرى عجا .. والرأى لا يشاهد الا ما يدعو الى الدهشة فاذا رايت ثم رايت موكبا من مواكب الله وقافلة من قوافل الايمان .. وجيشا من جيوش الحق .. وجندا من جنود اليقين .. هديرهم تكبير .. وهتافهم تسبيح .. ونداؤهم تلبية .. ودعاؤهم تهليل .. مشيهم عبادة .. وزحفهم صلاة .. وسفرهم هجرة الى ربهم .. وغايتهم مغفرة ورضوان .. تراهم في حشدتهم صورة متكاملة متناسقة في اطار نورانى على اختلاف اجناسهم .. وتباين اللغات وتغاير الاوطان .. اجتمعوا على كلمة الله .. والتأموا في بيت الله .. والتحموا امام الله في رحمة وعطف .. وحنان ، شعاع كل فرد منهم « واخفض جناحك للمؤمنين » .. مظهرهم كاتهم بنيان مرصوص .. تركوا البلاد والديار والاهل والأولاد .. والتجارة والأعمال .. لم تسقم قوة القاهرة .. ولم تجبرهم قوانين دنيوية .. بل جاءوا مندفعين بدافع من اعماقهم منبعث من وجدانهم نابع من قبض ايمانهم .. ومعين يقينهم .. قطعوا الفيافي والقفار .. واجتازوا الجبال والوديان .. وعبروا البحار والأنهار .. وطاروا على متن الهواء .. قاصدين بيت الله الحرام .. يعيشون في رحابه .. وينعمون بقدسيته .. مستشرفين بضيافته متلمسين لرحمته .. مستهدفين المغفرة .. مستمطرين الرضوان كما قال ربهم « واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا » ..

البيت الحرام :-

هو بيت العز والشرف ، بيت المجد والكرم ، بيت الرجاء والأمل ..
واحة الضال .. وهداية النائه .. وملجأ القاصد .. وملأذ الخائف ..
ومقام الطائف ، والعاكف .. من دخله كان آمنا .. فى جنباته الطهر
والنقاء .. وعلى أبوابه البذل والعطاء .. وبين أركانه الجود والسخاء ..
فالأجر مضاعف .. والجزاء موفور .. والذنوب مغفور .. والسمي
مشكور .. عند رب لا تغلق رحابه .. ولا تسد أبوابه .. لا يخيب
سائلا .. ولا يرد طالبا .. فهو الحليم الذى لا يعجل .. والكريم الذى
لا ييخل .. وفى ميدان هذا البيت يتجلى الدين فى أروع صورة وأبدع
مظهر .. جموع تطوف وتطوف .. وفئات تصعد وتنحدر بين الصفا
والمروة .. فمن خلال الطواف نتعلم النظام ، ونتدرب على التعاون وانكار
الذات ، ونتلقى دروسا عملية فى الآداب ، والمروة ، والحب . والعطف
والحنان ، ونؤمن بأن التوجيه الدينى أسمى من أى توجيه ، فأى توجيه
تكون له مثل هذه الفعالية .. ان الجيوش تحتاج الى ربط واحكام ،
وضبط ودقة .. بعد تدريب متواصل .. واشراف حازم .. الا اننا نرى
الحجيج - على كثرتهم واختلاف اجناسهم وتباين لغاتهم - يسيرون فى
اتجاه واحد .. وارتباط وتأزر ، ووحدة وتكاتف .. ووسط التلبية الهادرة ،
والاصوات العالية .. اذا أذن المؤذن سمعوا الأذان .. ولبوا النداء ..
فاذا بالجميع وقوف وكان على رؤوسهم الطير .. لا تسمع حينئذ الا
همسا .. ولا تحس الا أنفاسا ، ولا ترى الا أجساما منظومة ، وأقداما
مصفوفة .. اذا ركع امامهم ركعوا ، واذا سجد سجدوا ، واذا قرا
انصتوا ، واذا دعا آمنوا .. انها صورة من صور الجمال .. من الحسن
والجلال .. ومشهد من مشاهد الكمال .. ولتأت الدنيا .. الدنيا كلها
لتنظر على هذا المنظر البديع المتناسق .. وليشهد الوجود كل الوجود .
بأن الاسلام هو دين النظام .. ودين التضامن .. ودين الالفة .. ودين
الحياة ..

« واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل
فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على
ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير » ..
نعم يا ابراهيم .. اذن .. اذن .. اذن .. فالدنيا تسمعك ..
والكون يصغى اليك .. والجود يلبي .. فنداؤك عبر الزمان .. ينشر
على الارض السلام .. ودعاؤك يبعث فى الأفاق رونق الحياة .. وعجبت
يا ابراهيم عندما قال لك ربك اذن يا ابراهيم .. فقلت وتثذ وما يبلغ
صوتى ؟ فقال لك مولاك .. يا ابراهيم عليك الأذان .. وعلينا البلاغ ..
فنأديت فى الأجواء والأفاق .. يا أيها الناس ان الله كتب عليكم الحج
فحجوا .. فلبى تذاك أهل الارض وأهل السماء .. حتى النطف فى
أصلاب الرجال .. والأجنة فى أرحام الامهات ..

السعى بين الصفا والمروة :-

ومن خلال السعى بين الصفا والمروة يستشعر الحجاج معنى
التضحية والجهد .. هذا الجهد الذى قاسته السيدة هاجر من أجل شربة

ماء تروى غلة طفل رضيع انهكه الجوع وأرقه الظما .. امرأة وحيدة
وسط الجبال الشاهقة .. وبطون الوديان السحيقة تهرول هنا وهناك ..
فى صعود وانحدار .. وحيرة واضطراب .. يمزق أحشاءها أنين ولسد
عليل .. جف ريقه .. وجه لسانه اللاهث من شدة العطش .. فماذا
ما اشتد الخطب .. وادلهم الأمر .. تجلت رحمة الله كالنور بعد
الظلمة .. كالأمل الباسم وسط اليأس الحالك .. فتفجر الماء سلسا ..
وانساب عذبا دافقا أنه بئر زمزم .. زمزم الميمون .. زمزم المبارك ..
النبع الطاهر .. الرحيق الحلو .. الدواء الشافى .. ليعرف الناس أن
الله تعالى لا ينسى مخلوقاته .. وأن الفرج بعد الضيق .. وأن مع العسر
يسرا .. « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن
يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء
قدرا » ..

الوقوف بعرفات :

وفى الموكب الإلهى .. وفى الركب الروحانى .. وفى مسيرة
الايان .. يتوجه الحجاج بين الزحام المتكاثف .. وسط الجموع
الصاخبة .. وخلال الكتل الزاحفة قاصدين عرفات .. متجردين من
ملابسهم اللهم الا من إزار ورداء ابيضين يتساوى فيهما الغنى ذو المال
الواغر والجاه العريض .. بالفقير والمسكين ليتذكروا جميعا ذلك المكنن
الذى يلهمهم عند وداعهم الأخير .. وكما قال عيسى عليه السلام « يا أيها
الناس لقد جئتم الى الدنيا وأنتم عراة وستخرجون منها وأنتم عراة » .
ان هذا الزحام المائج يذكرهم كذلك بيوم الحشر وما فيه .. يوم
لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .. فى عرفات تذوب
الطبقية .. وتتلشى التفرقة .. وتنجسد المساواة الحقبة .. المساواة
الصادقة .. المساواة الخالية من كل تكلف أو خداع .. المساواة التى
فقدت فى العالم المتحضر .. وضاعت فى دنيا المدنية الزائفة ..
عند الصعود الى عرفات .. يتسابق الحجاج ويتنافسون ..
يتسابقون الى ربهم .. ويتنافسون فى كسب رضا .. لله درك
يا عرفات .. فيك ينسى المؤمن الدنيا وما فيها من متاع .. ويهجر الحياة
بما تحويه من ترف وملذات .. لا يهمه لفخ الهجير .. أو وهج الشمس ..
ولا يمتعه شدة برد .. أو هطول مطر .. لأنه خرج من نطاق البشرية الى
رحاب الروحانية .. لأنه انسلخ من المادية الى عالم المعنويات .. لأنه
تجرد من ترابيته ليصعد الى الملا الأعلى .. الملائكة .. وينتظم نفسى
صفوف الأبرار .. أى سحر فيك يا عرفات؟؟ ان البصر لا يقع عليك إلا
ويرى عابدا يتبتل .. ومذنبا يتوجع .. ومؤمننا يخشع .. ومصليا يركع ..
وعاصيا ذا عين تدمع .. فكأنى بك بحيرة قدسية تغسل الأثام .. وتمسح
الخطايا .. وتحو السيئات .. يومك يوم نور .. ويوم رحمة .. يوم
بركة .. ويوم عطاء .. يوم يباهى به الله ملائكة السماء .. ففتبسم
الأنفاق .. وتشرق الأكوان .. ويعم الغفران .. فينتحر الشيطان ..
كأنى بالحجاج يسألون عرفات عن هذه الأمجاد التى اعتلت ذروته ..

وتلك الكتابات الأولى التى عاشت على سطحه فترة من الزمن .. وكأنى بالجبل الرحيب يقول : كانوا ابطالا أمذاذا جنودا بواصل .. كانوا انقياء أطهارا .. صدقوا ما عاهدوا الله عليه .. أشدء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا تعرفهم بسببهم من أثر السجود .. فرضى الله عنهم ورضوا عنه وذلك هو الفوز المبين ..

كأنى بالجبل الأشم يذكرنا بالقائد الأعظم .. بالزميم الأكبر .. بالمرشد الملم .. محمد بن عبد الله وهو يلتقى أسمى خطاب فى الوجود .. وأخلد حديث على صفحات الزمان .. وأظهر دستور عرفه التاريخ فى حجة الوداع .. يرسم للبشرية طريق خلاصها .. وسبيل مجدها .. ودروب سعادتھا .. وسكب فى أذن الدنيا أصدق قانون .. فيه صلاح المجتمع .. وتنويم للخلق أجمعين .. صان فيه حقوق الناس .. وكرامة الإنسان « اليوم أكملت دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً » .

زيارة الحبيب : -

زيارة تختلف عن كل زيارة .. زيارة فيها السعادة والهناء .. زيارة فيها الصدق والوفاء .. زيارة فيها الفوز والفلاح .. لأنها نزهة القلب .. لأنها فرحة الفؤاد .. لأنها فسحة الروح .. لأنها متعة الخاطر .. لأنها فرصة الحياة .. زيارة فواحة بالعطر شذية العبير .. دائمة بالطهر .. وهاجة بالنور .. غياضة بالأمل الوضاء .

انها زيارة محمد عليه السلام افضل المعابدین .. درة الخاشعين .. سيد المرسلين .. انه اعظم مخلوق فى الوجود .. انه تاج الشرف على رؤوس البشر .. انه وشاح الحق على كتف الزمن .

وعبر هذه الزيارة الخاشعة .. تنهبر الدموع .. ويشد النحيب .. وينتفض الوجدان .. فالكل أتى يدفعه شوق جارف وحنين عارم .. وشغف متحفز .. لزيارة رائد الإنسانية ، ومعلم البشرية .. وباعث المحبة .. ليكحل العين برؤياه .. ويضمخ النفس بلقياه .. متنسما ريح الجنة .. وأريج الفردوس .. فى صمت وخشوع .. ورهبة ورغبة .. وروعة وجلال .. فيها مهبط الوحي .. ومنابع الطهر .. ومنزل الرحمة .. وشاطئ الأمان .. ومشرق الحضارة .. ومحراب القداسة .. ومن خلال تلك الرحاب .. يتفجر الإيمان .. وينطلق اليقين .. وينبثق الدين .. وتذوب النفس فى كؤوس الصفاء .. فيبدو الحاج وتثد مجلوا بنور الله .. وضاء بشعاع التقوى .. ومزودا بخير زاد ، مغسلا من الخطايا والآثام .. متوجا بتاج العز والكرامة .. عليه فيض من رضى .. وغمرة من حنان .. ولمسة من رحمة .. وهكذا يعود الحاج من رحلتهم الميمونة ، ودراستهم المباركة ، الى بلادهم فى تائق واشراق ، ونقاء وانطلاق ، يمنحون الحياة الخير والرجاء ، وينشرون البر والسلام ؟

اهل الحديث

عمر بن الخطاب

للكلور محمد تقي الدين الهلالي

مولده ونسبه :

قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب « ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة . وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة : « إنه ولد بعد الفجار الأعظم بأربع سنين ، وذلك قبل المبعث النبوي بثلاثين سنة ، ورواية ابن عبد البر أوضح وعليها يكون النبي صلى الله عليه وسلم أسن من عمر بن الخطاب بثلاث عشرة سنة » .

فإنما نسبه فهو عمر بن الخطاب بن نفيل العدوي القرشي أبو حفص وأمه حنثمة بنت هاشم بن المغيرة المخزومية . قاله الحافظان ابن عبد البر وابن حجر وقال ابن هشام : « وكان عمر لحنثمة بنت هشام بن المغيرة وعلى هذا تكون أمه أخت أبي جهل بن هشام بن المغيرة » . .

وقال أبو عمر بن عبد البر : « وقالت طائفة في أم عمر : حنثمة بنت هشام بن المغيرة ومن قال ذلك فقد أخطأ . ولو كانت كذلك لكانت أخت أبي جهل بن هشام بن المغيرة وليس كذلك وإنما هي ابنة عمه . فإن هاشم بن المغيرة وهشام بن المغيرة أخوان . فهاشم والد حنثمة أم عمر وهشام والد الحارث وأبي جهل . وهاشم بن المغيرة هذا جد عمر لأنه كان يقال له ذو الرمحين » .

صفته الخلقية :

قال الحافظ ابن حجر في الإصابة : « وأخرج ابن أبي السدينا بسند صحيح عن أبي رجاء العطاردي قال : كان عمر طويلاً جسيماً أصلع أشعر شديد الحمرة كثير السبلة في أطرافها صهوبة وفي عارضيه خفة » . .

وروي يعقوب بن سفيان في تاريخه بسند جيد إلى زر بن حبیش قال رأيت عمر أعسر أصلع آدم قد فرع الناس كأنه على دابة قال فذكرت هذه القصة لبعض ولد عمر فقال سمعنا أشياء نحن يذكر أن عمر كان أبيض فلما كان عام الرمادة وهي سنة المجاعة ترك أكل اللحم والسمن وأدمن أكل الزيت حتى تغير لونه وكان قد أحمر فشحبت لونه .

وروي الدينوري في المجالسة عن الأصمعي عن شعبة عن سماك كان

عمر أروح كأنه راكب والناس يمشون والارواح الذى — يتدانى عقباه اذا مشى .

وأخرج سعد بسند فيه الواقدي كان عمر يأخذ أذنه اليسرى بيده اليمنى ويجمع جراميزه ويثب على فرسه فكانما خلق على ظهره » .
وقال الحافظ ابن عبد البر فى الاستيعاب « وكان آدم شديد الادمة طوالا كث اللحية أعمر أيسر يخضب بالحناء والكتم .
نكتفى بهذا القدر من صفة خلقه بفتح الخاء وفيها الفاظ تحتاج الى توضيح ليعم النفع القراء كلهم قويهم وضعيفهم .

الفجار : قال فى اللسان : « قال الجوهري الفجار يوم من أيام العرب وهى أربعة أفجرة ، كانت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان فى الجاهلية وكانت الدبرة على قيس وانما سمت قريش هذه الحرب فجارا لأنها كانت فى الأشهر الحرم ، فلما قاتلوا فيها قالوا قد فجروا فسميت فجارا .

والصهوبة : حمرة شعر الرأس واللحية .
والأعسر : هو الذى يشتغل بيده اليسرى والأعسر اليسر هو الذى يشتغل بيديه جبهما . وقد روى أن عمر كان كذلك .
والأدمة : الحمرة وهى حمرة ناشئة عن بياض لأنه جاء فى وصف عمر أنه كان أبيض وقوله فرغ الناس : أى كان أطول منهم ، وقوله كأنه على دابة : أى اذا مشى مع القوم فكانه راكب لطول قامته .
شحب لونه : شحب اللون ككرم ، وشحب كمنع تغير لونه من هزال أو عمل أو جوع أو سفر .

وهذا من مناقب عمر التى لا يتصف بها الا خليفة نبى لان المجاعة فى العادة لا تصيب الا عامة الناس ، اما الرؤساء فلا يجوعون وعمر رضى الله عنه فضل الجوع وترك الطيبات من الطعام عند قلته إثارا للعامة على نفسه . رحمه الله ورضى عنه فويل لمن يتقصه من المبتدعين الضالين .
قوله سعد : لعل الصواب ابن سعد .

وجراميزه : ثيابه ويدل ذلك على أن عمر كان رياضيا ، قوى الجسم لان ركوب الخيل بالصفة المذكورة لا يتأتى الا لقليل من مهرة الرياضيين . وفى ذلك دليل على أن المسلم ينبغى له أن يكون قوى البدن مرتاضا . قال الله تعالى فى سورة البقرة فى قصة طالوت حين قال بنو اسرائيل لنبى لهم ابعث لنا ملكا فقاتل فى سبيل الله فاخبرهم أن الله سبحانه بعث لهم طالوت ملكا . فقالوا انى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال . فظنوا لجهلهم أن الملك خاص بالاغنياء فرد عليهم نبيهم بقوله : « إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم » .

فالملك لا يكون أهلا للملك بسبب ثروته وكثرة ماله ، ولكن لقوة جسمه وعلمه وتقواه . فان مال الدولة يكون بيده وهو الذى يقسمه طبقا لما أمر الله به أن يقسم فما حاجته الى المال . وهكذا قال العرب اهل مكة : « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » « سورة الزخرف » فرد الله عليهم بقوله « أهم يقسمون رحمة ربك » فظنوا لجهلهم أن النبوة لما كانت الرئاسة ملازمة لها لا تكون الا لمن كان غنيا كثير المال

وقوة الجسم ، والرياضة البدنية من السنة التي اتصف بها الأنبياء ولنبينا محمد صلى الله عليه وسلم الحظ الأوفر من ذلك فقد ثبت فسى صحيح البخارى أنه سابق عائشة أم المؤمنين فسبقته علما ثقل جسمها باللحم سابقها مرة أخرى فسبقها وقال لها هذه بترك .
وقوله : **يخضب بالحناء والكتم** : ذكر الحافظ فى الفتح عن جماعة من الصحابة أنهم كانوا يخضبون بهما وقد جاء مثل ذلك عن النبى . وقلت فى ذلك شعرا .

إنى لأخضب بالحناء والكتم أقفو بذلك خير العرب والعجم
محمداً وأناساً من صحابته كانوا مصابيح تجلو داجى الظلم
والكتم : يسمى بالعابية العراقية « الموسمة » وهو نبات شديد الخضرة وصفة الخضاب بها أن يخضب الرأس أو اللحية أو هما معا بالحناء ويبقى ثلاث ساعات ثم يغسل الشعر غسلا جيدا ويخضب بالكتم ويعد ساعة يغسل الشعر فيصير أسود . .

صفته الخلقية :

قال الحافظ الذهبي فى تذكرة الحفاظ « أبو حفص العدوى الفاروق وزير رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أيد الله به الاسلام وفتح به الأمصار وهو الصادق المحدث الملهم الذى جاء عن المصطفى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لو كان بعدى نبى لكان عمر » الذى فر منه الشيطان وأعلى به الايمان وأعلن الأذان .

قال نافع بن أبى نعيم عن نافع عن ابن عمر قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه . . وأين مثل أبى حفص فما دار الفلك على مثل شكل عمر هو الذى سن للمحدثين التثبت » انتهى .

وقال ابن عبد البر فى الاستيعاب ما نصه :

قال الزبير وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه من أشراف قريش واليه كانت السفارة فى الجاهلية ، وذلك أن قريشا كانت إذا وقعت بينهم حرب ، أو بينهم وبين غيرهم بعثوا سفيرا وان نافرهم منافر أو فاجرهم منافر رضوا به ولقبوه منافرا أو فاجرا .

اسلامه :

قال ابن اسحاق وكان اسلام عمر — فيما بلغنى — أن أخته غاطمة بنت الخطاب كانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قد أسلمت وأسلم زوجها سعيد بن زيد وهما مستخفيان باسلامهما خوفا من عمر وكان نعيم ابن عبد اله النحام رجل من قومه من بنى عدى بن كعب قد أسلم وكان أيضا يستخفى باسلامه فرقا من قومه ، وكان خباب بن الارت يختلف الى غاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن . فخرج عمر يوما متوشحا سيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطا من أصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا فى بيت عند الصفا وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء ، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة بن عبد المطلب وأبو بكر الصديق وعلى بن أبى طالب فى رجال من المسلمين رضى الله عنهم فبين أقام

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ولم يخرج فيمن خرج الى ارض الحبشة فلقبه نعيم بن عبد الله فقال له : أين تريد يا عمر ؟ فقال : أريد محمدا هذا الصابي الذي غرق امر قريش وسفه أحلامها وعاب دينها وسب آلهتها فاقطعه فقال له نعيم : والله لقد غرتك نفسك مسن نفسك يا عمر ، أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الارض وقد قتلت محمدا . أفلا ترجع الى أهل بيتك ، فتقيم أمرهم قال : وای أهل بيتي ؟ قال خنتك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو ، وأختك غاطمة بنت الخطاب ، فقد والله أسلمها وتابعا محمدا على دينه . فعليك بهما قال فرجع عمر عابدا الى أخته وخنته وعندهما خباب بن الارت معه صحيفة فيها (سورة طه) يقرئها إياها . فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب في مخدع لهم ، أو في بعض البيت وأخذت غاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذاها وقد سمع عمر حين دنا الى البيت قراءة خباب عليهما فلما دخل قال ما هذه الهيمنة التي سمعت ؟ قال له : ما سمعت شيئا ، قال : بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه وبطش بخته سعيد بن زيد . فقامت اليه أخته غاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها فثججها فلما فعل ذلك قالت له أخته وخنته نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك . . فلما رأى عمر ما باخته من الدم ندم على ما صنع فارعوى وقال لأخته أعطني هذه الصحيفة التي سمعتمكم تقرأون آنفا ، أنظر ما هذا الذي جاء به محمد وكان عمر كاتبها ، فلما قال ذلك قالت له أخته إنا نخشاك عليها . قال لها لا تخافى وحلف لها بألته ليردنها إذا قرأها . فلما قال طمعت في إسلامه وأعطته الصحيفة وفيها « طه » فقرأها فلما قرأ منها صدرا قال ما أحسن هذا الكلام ، فلما سمع ذلك خباب خرج اليه فقال له : يا عمر والله إنني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه فإني سمعته أمس وهو يقول : « اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب فالله الله يا عمر » فقال له عند ذلك عمر : فدلني يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم . فقال له خباب هو في بيت عند الصفا معه فيه نفر من أصحابه ، فأخذ عمر سيفه فتوشحه ثم

عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فضرِب عليهم الباب فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر من خلل الباب فرآه متوشحا بالسيف فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم وهو غزاع فقال يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحا بالسيف . فقال حمزة بن عبد المطلب : فأذن له فان كان جاء يريد خيرا بذلناه له وإن كان جاء يريد شرا قتلناه بسيفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن له . فأذن له الرجل ونهض إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه في الحجرة فأخذ حجزته أو بمجمع رداءه ثم جبذه به جبذة شديدة وقال ما جاء بك يا ابن الخطاب ؟ فوالله ما أرى أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة . فقال عمر : يا رسول الله جئتك لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله قال : فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمر قد أسلم . ففتفرق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكانهم وقد عزوا في

انفسهم حين أسلم عمر مع اسلام حمزة وعرفوا انها سيمعان رسول الله صلى الله عليه وسلم وينتصفون بها من عدوهم .
وذكر ابن هشام عن ابن اسحاق في سبب اسلام عمر قصة اخرى اختصرها فيها يلي :

قال عمر : كنت احب الخمر واشربها في الجاهلية . وكان لي رفقاء ينادمونني على شرب الخمر وكان لنا مجلس معلوم نجلس فيه كل ليلة نشرب الخمر فذهبت ليلة الى المجلس فلم أجد منهم احدا فقصت حانة لخمار مكة لأشرب فلم أجده فقصت الكعبة لأطوف بها سبعا او سبعين فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلي بين الركنتين ركن الحجر الاسود والركن اليماني - مستقبلا الشام جاعلا البيت بينه وبين قبلته فأردت ان أستمع لقراءته دون أن يعلم بمكاني فجئت الكعبة من قبل الحجر فدخلت تحت كسوتها وأخذت أمشي بين جدارها وثوبها حتى قمت في قبلته مستقبلا له وهو لا يراني ولا يعلم بوجودي .

فلما سمعت القرآن رق قلبي له حتى بكيت فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته أنصرف الى بيته فتبعته حتى أدركته في الطريق فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حسي عرفني فظن اني تبعته لأؤذيه ، فنهمني (أي زجرني) ثم قال : ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة ؟ فقلت جئت لأومن بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم ومسح صدري ودعالي بالثبات .

وإذا أردنا أن نجمع بين القصتين نقول : إن القصة الأولى سابقة للثانية وأن عمر حين قرأ الصحيفة في بيت أخته مال قلبه الى الاسلام ولكن أراد ان يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم القرآن فاحتال لذلك حتى سمعه منه فآزداذ يتيقنا وأسلم في تلك الليلة ثم قصد بعد ذلك دار الأرقم التي عند الصفا وأعلن اسلامه .

ويؤيد ذلك ما روى ابن اسحاق في السيرة « عن أم عبد الله بن عامر ابن ربيعة بنت أبي حنثة . قالت : والله إنا لنرجل الى أرض الحبشة وقد ذهب عامر أي زوجها في بعض حاجاتنا إذ أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف على وهو على شركه : قالت : وكنا نلقى منه البلاء أذى لنا وثدة علينا . قالت فقال : انه للانطلاق يا أم عبد الله . قالت فقلت نعم والله . لنخرجن في أرض الله أذيتونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا فرجا . قالت : فقال صحبكم الله ورأيت له رقة لم أكن أراها . ثم أنصرف وقد أحزنه فيها أرى خروجنا . قالت فجاء عامر بحاجته تلك . فقلت له : يا أبا عبد الله : لو رأيت عمر آتفا ورقته وحزنه علينا . قال : اطمعت في اسلامه قالت : نعم . قال فلا يسلم الذي رأيت حتى يسلم حمار الخطاب ، قالت ياسا منه لما كان يرى من غلظته وقسوته على أهل الاسلام » .

ومن ذلك يظهر لنا أن اسلام عمر لم يكن نجاة فانه من المستبعد في طباع البشر أن يكون الرجل على دين متعصبا له أشد التعصب ويرى دينا جديدا فيحاربه أشد المحاربة ثم ينتقل من الدين الاول الى الثاني فجأة بدون أن يتقدم انتقاله فترة تردد وتأمل . وهذا مشاهد معروف عند من خبر أحوال المنتقلين من دين الى دين .

ومما يناسب ذلك أني كنت في برلين الغربية سنة أربع وخمسين وتسعمائة وألف بتاريخ النصارى فقصت الجامع لصلاة الجمعة وهو في

القسم الغربي ، وكنت أعرفه وأصلي فيه حين كنت طالبا ومدرسا هناك من سنة تسع وثلاثين الى سنة اثنتين وأربعين بالتاريخ المذكور فلما رأيته الامام دعاني لأصلي بهم الجمعة وبعد الفراغ من الصلاة قام وخطبهم هو باللغة الجرمانية ثم أخذنا نتجاذب أطراف الأحاديث فرأيت رجلا حسن الاصفاء لكل حديث يدور حسن السميت تظهر عليه الرغبة في الازيد من علوم الاسلام ويكثر الاسئلة فقلت له يا أخى تسمح لي أن أسألك منذ كم سنة أسلمت ؟ فقال لي لم أسلم بعد ! فقلت ولماذا جئت الى هنا وحضرت الصلاة ؟ فقال حضرت الصلاة ولم أصل !! ولكن استمعت الى الخطبة التي ألقيت باللغة الجرمانية فقلت هل زرت المسجد قبل هذه المرة ؟ فقال لي منذ سنة لم تفتني ولا جمعة واحدة ومسكني بعيد من المسجد أركب ساعا في القطار لأصل إليه فقلت له : والى الآن ما تبين لك أن الاسلام حق ؟ فقال لي : أريد أن ازداد يقينا حتى يكون اسلامي مبنيا على أساس متين فان قلت : هذا الالماني بقي سنة يدرس الاسلام وعمر فيها ذكرت لم يبق الا مدة قصيرة فهل كان الالماني أكثر تثبعا منه ؟ فالجواب ان بين الالماني وعمر فرقا شاسعا لأن الالماني لا يعرف لسان القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم ولا يستطيع أن يقرأ القرآن أو يسمعه فيفهمه وانما يعتد على ترجمة المترجمين ومن الفروق أن عمر يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من صباه ويعرف صدقه وأخلاقه ويعرف من آمن به قبله وهم أربعون رجلا واحدى عشرة امرأة وكيف ثبتوا على دينهم واستعذبوا العذاب فيه ، وصبروا على مفارقة الوطن بل كان عمر يشاهد نور رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يحجب الا عن شقي .

وقال الحافظ أبو عمر بن عبد البر بسند ذكره من طريق ابن معين عن هلال بن يساف قال :

« أسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد أربعين رجلا واحدى عشرة امرأة قال أبو عمر فكان اسلامه عزا ظهر به الاسلام بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم » ..

وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة بسند ذكره عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال : « اللهم أعز الاسلام بأبى جهل ابن هشام أو بعمر بن الخطاب » فأصبح عمر ففدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأخرج أبو يعلى وذكر سنده الى ابن عمر قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اللهم أعز الاسلام بأحب الرجلين اليك بعمر بن الخطاب أو بأبى جهل بن هشام وكان أحبهما الى الله عمر بن الخطاب » .. وأحب هنا أفعل تفضيل من حب بضم الحاء مبنيا لما لم يسم فاعله وقد منعه ابن مالك ولكنه كثير من كسلام العرب ، وهو من جريان أفعل التفضيل على غير بابه فأحب هنا بمعنى محبوب لأن أحدهما وهو أبو جهل لا يشارك الآخر في محبة الله حتى يفضل عليه فهو كقولهم الأئجج والناقص أعدلا ملوك بنى مروان — أى عادلا ملوك بنى مروان اذ لا عادل فيهم غيرهما . ثم ذكر الحافظ روايات متعددة لهذا الحديث عن جماعة من الصحابة تختلف الفاظها ويتفق معناها .

بعض مناقبه :

١ — منها ما تقدم أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا أن يعز الله الاسلام ويشده برجل يحبه الله تعالى فكان ذلك الرجل فثبتت له محبة الله تعالى ..

٢ — ومنها ما رواه البخارى فى صحيحه فى باب مناقب عمر بسنده الى جابر بن عبد الله قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « رأيتنى دخلت الجنة فاذا أنا بالرميصاء امرأة أبى طلحة وسمعت خشفة فقلت من هذا ؟ فقال هذا بلال ورأيت قصرا بفنائيه جارية فقلت لمن هذا ؟ قال لعمر فأردت أن أدخله فأنظر اليه فذكرت غيرك فقال : عمر أبى وامى يا رسول الله أعليك أغار ؟ » انتهى .

والخشفة بفتح أوله وثانيه أى حركة وقع الاقدام ، وفى رواية أبى هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى الى جانب قصر عمر امرأة تتوضأ والباقي مثل ما تقدم وفيها زيادة أن عمر حين سمع ذلك بكى وقال أعليك أغار يا رسول الله » .

٣ — ومنها ما أخرجه البخارى بسنده الى حمزة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بينا أنا نائم ثربت يعنى اللبن حتى أنظر الى الرى يجرى فى ظفري أو فى أظفارى ثم ناولت عمر قالوا فما أولته يا رسول الله قال : العلم » .

فهذه شهادة من النبي صلى الله عليه وسلم لعمر بالعلم النافع الذى أخذه عنه عليه الصلاة والسلام .

٤ — ومنها ما أخرجه البخارى فى مناقبه عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رأيت فى المنام أنى أنزع بدلو بكرة على قلب ، فجاء أبو بكر فنزع ذنوبا أو ذنوبين نزعنا ضعيفا والله يفرى له ، ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غربا ، فلم أر عبقرى يفرى فرىه حتى روى الناس وضربوا بعطن .. »

قال ابن جبير العبقرى عتاق الزرابى ، وقال يحيى : الزرابى : الطنافس لها خمل رقيق مبطونة كثيرة .

شرح بعض ما يعسر فهمه على بعض القراء من هذا الحديث .
على دلو بكرة : البكر بفتح الباء والكاف : خشبة مستديرة يعلق عليها الدلو لتسهيل نزع من البئر — والقلب البئر . الذنوب الدلو الممتلئة ماء الغرب . الدلو العظيمة تتخذ من جلد ثور يعنى أن عمر لما أخذ الدلو عظمت فى يده وكبرت وذلك اشارة الى كثرة الفتوحات التى أجراها الله على يديه واتساع حوزة الاسلام ، ولم يقع مثل ذلك فى خلافة أبى بكر الصديق ، ولكن له مناقب أخرى كثيرة لا يشاركه فيها عمر .

والعبقرى : قال أبو عمر : وعبقرى القوم سيدهم وقيهم وكبيرهم . حتى روى الناس وضربوا بعطن . قال فى اللسان العطن للأبل كالوطن للناس ، يعنى حتى رويت الأبل وبركت بمعاظنها ، كناية عما تقدم من كثرة الفتوحات والارزاق ، وانتشار العدالة والامن ، ورغد العيش وصلاح الاحوال .

٥ — وأخرج البخارى عن سعد بن أبى وقاص قال استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نسوة من قريش

يكلّمه ويستكثرن عالية أصواتهن على صوته — فلما استأذن عمر بن الخطاب قنن فبادرن الحجاب ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك ، فقال أضحك الله سنك يا رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم . « عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب » قال عمر : « فأنت أحق أن يهبن يا رسول الله » ثم قال عمر « يا عدوات أنفسهن اتبهنني ولا تهبن رسول الله » فقلن : نعم أظ وأغلظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إيه يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط الا سلك فجا غير فحك » .

قولهن « أنت أظ وأغلظ » جرى أفعال التفضيل أيضا على غير بابيه ، فان النبي صلى الله عليه وسلم ليس عنده شيء من الفظاظة ولا من الغلظة حتى يشارك عمر فيهما ويكون عمر أشد منه في ذلك ، قال الله تعالى « فيها رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانقضوا من حولك » معناه برحمة الله وفضله لنت يا محمد لأصحابك فاحبوك ولو كنت فظا غليظ القلب لتفرقوا عنك . .

قال الجبل في حاشيته على الجالين : الفظاظة الجفوة في المعاشرة قولاً وفعلًا ، والغلظة التكبر ثم تجوز فيه عن عدم الشفقة وكثرة القسوة في القلب —

٦ — ومنها أن الله أعز به المسلمين ، فأخرج البخاري بسنده عن عبد الله يعني ابن مسعود قال عبد الله ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر —

٧ — منها ثناء على رضى الله عنه على عمر ، أخرج البخاري عن ابن أبي مليكة ، أنه سمع ابن عباس يقول : وضع عمر على سريره فتكفنه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع ، وأنا فيهم فلم يرعنى الا رجل أخذ منكبي فإذا على بن أبي طالب فترحم على عمر وقال : « ما خلفت أحدا أحب إلى أن ألقى بمثل عمله منك ، وأيم الله ان كنت لأظن ، أن يجعلك مع صاحبك وحسبت أنى كثيرا أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ذهبت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر » ٨ — ومنها بشارة النبي صلى الله عليه وسلم بالشهادة أخرج البخاري عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : صعد النبي صلى الله عليه وسلم أحدا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه برجله وقال : « أثبت فما عليك الا نبى أو صديق أو شهيدان » .

٩ — متقبلة التحديث والتكليم . ومنها ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد كان فيما قبلكم من الامم ناس محدثون فان يكن من أمتي أحد فانه عمر » ، زاد زكريا بن زائدة عن سعد عن أبي هريرة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لقد كان في من كان قبلكم من بنى اسرائيل رجال يكلّمون من غير أن يكونوا أنبياء فان يكن في أمتي منهم أحد فعمر » . .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح . والسبب في تخصيص عمر بالذكر لكثرة ما وقع له في زمن النبي صلى الله عليه وسلم من الموافقات التي نزل

القرآن مطابقا لها ، ووقع له بعد النبي صلى الله عليه وسلم عدة اصابات .
 ١ - شهادة النبي صلى الله عليه وسلم بقوة ايمان عمر ، ومنها
 ما أخرجه البخارى بسنده فى صحيحه عن سعيد بن المسيب ، وأبى سلمة
 ابن عبد الرحمن ، قال سمعنا أبا هريرة رضى الله عنه يقول : قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم : « بينما راع فى غنمه عدا الذئب فأخذ منها شاة
 فطلبها حتى استنقذها فالتفت اليه الذئب فقال له : « من لها يوم السبع ليس
 لها راع غيرى ، فقال الناس سبحان الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم
 فانى أومن به وأبو بكر وعمر وما ثم أبو بكر وعمر » انتهى ، يعنى أن النبي
 صلى الله عليه وسلم بالإيمان أخبر لهذا الامر المغيب .

١١ - كمال دين عمر :

وأخرج البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بينا أنا نائم رأيت الناس عرضوا
 على وعليهم قمص فمنها ما يبلغ الثدي ، ومنها ما يبلغ دون ذلك وعرض
 على عمر وعليه قميص أجتره » قالوا فما أولته يا رسول الله قال : الدين .

١٢ - بشارة النبي صلى الله عليه وسلم لعمر بالجنة :

أخرج البخارى فى صحيحه عن أبى موسى رضى الله عنه قال : كنت
 مع النبي صلى الله عليه وسلم فى حائط من حيطان المدينة فجاء رجل
 فاستفتح ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : افتح له وبشره بالجنة ففتحت
 له فاذا هو أبو بكر فبشرته بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد
 الله ، ثم جاء رجل فاستفتح فقال النبي صلى الله عليه وسلم : افتح له
 (وبشره بالجنة) ففتحت له فاذا هو عمر فأخبرته بما قال النبي صلى الله
 عليه وسلم فحمد الله . ثم استفتح رجل فقال لى : افتح له وبشره الجنة
 على بلوى نصيبه فاذا عثمان ، فأخبرته بما قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فحمد الله ثم قال : الله المستعان .

١٣ - ومنها قوله « ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه »
 أخرجه الترمذى وأحمد وصححه الحاكم .

وهذا الحديث يدل على فضل عمر رضى الله عنه وتوفيق الله له
 لاصابة الحق ، وكذلك حديث التحديث والتكليم ، وأحاديث أخرى فى هذا
 الباب ولا يدل شئ من ذلك على أنه معصوم من الخطأ فلا عصمة الا
 للأنبياء .

واقصر على هذا القدر من مناقب هذا الامام رضى الله عنه فانها
 لا تحصى الا بكلفة ولا يتسع لها المقام .

خلافته :

قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر فى الاستيعاب :
 وولى الخلافة بعد أبى بكر ببيع له يوم مات أبو بكر رضى الله عنه
 باستخلافه له ستة ثلاث عشرة قسار بأحسن سيرة ، وأنزل نفسه من مال
 الله بمنزلة رجل من الناس ، وفتح الله الفتوح بالشام والعراق ومصر ،
 ودون الدواوين فى العطاء ، ورتب الناس فيه على سوابقهم وكنان لا يخاف
 فى الله لومة لائم ، وأرخ التاريخ من الهجرة الذى بأيدي الناس اليوم ،

وهو أول من تسمى بأمر المؤمنين لقصة تذكرها هنا إن شاء الله تعالى ، وهو أول من اتخذ الدرة وكان نقش خاتمته « كفى بالموت واعظا يا عمر » ثم قال أبو عمر « وأما القصة التي ذكرت في تسمية عمر نفسه بأمر المؤمنين ، فذكر الزبير قال قال عمر : لما ولي كان أبو بكر يقال له خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يقال ، خليفة خليفة يطول هذا ، قال فقال له المغيرة بن شعبه « أنت أمير المؤمنين ونحن المؤمنون فأنت أمير المؤمنين — قال : فذاك إذن .

استشهاد عمر وسبب قتله :

سبب قتله : المحافظة على إقامة العدل بين الناس . قال ابن عبد البر عن الواقدي بسنده إلى الزبير بن العوام قال : غدوت مع عمر رضي الله عنه إلى السوق وهو متكئ على يدي فلتيه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبه ، ألا تكلم مولاي يضع عنى من خراجي ، قال : كم خراجك قال دينار ، قال ما أرى أن أفعل أنك عامل محسن ، وما هذا بكثير ثم قال له عمر : ألا تعمل لى رضى ، قال : بلى ، فلما ولي قال أبو لؤلؤة لأعلن لك رضى يتحدث بها ما بين المشرق والمغرب ، قال فوقع في نفسه قوله قال فلما كان في النداء لصلاح الصبح خرج عمر إلى الناس يؤذنه للصلاة قال ابن الزبير (راوى هذا الخبر عن أبيه) وأنا في مصلاى وقد اضطجع له عدو الله أبو لؤلؤة فضربه بالسكين ست طعنات أحداها من تحت سرتة هي قتلتة — فصاح عمر أين عبد الرحمن بن عوف فقالوا هوذا يا أمير المؤمنين فقال تقدم فصل بالناس ، فتقدم عبد الرحمن فصلى بالناس وقرأ في الركعتين قل هو الله أحد ، وقل يا أيها الكافرون ، واحتلوا عمر فدخلوه منزله فقال لابنه عبد الله أخرج فأنظر من قتلنى ، قال فخرج عبد الله بن عمر فقال من قتل أمير المؤمنين فقالوا أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبه فرجع فأخبر فقال الحمد لله الذى لم يجعل قتلنى بيد رجل يحاجنى بلا اله الا الله .

وقد روى أبو عمر وغيره في قصة استشهاد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أخبارا كثيرة بأسانيدها وهي لا تخرج عن معنى ما تقدم ..

تثبت في رواية الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم

كان عمر رضى الله عنه متبنا في رواية الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا سمع أحدا يروى حديثا من النبي صلى الله عليه وسلم من أصحاب رسول الله يتردد في قبوله منه حتى يتيقن وهذا مشهور عنه فمن ذلك ما ذكره الحافظ الذهبي في التذكرة ، وهو مروي في كتب الحديث أن أبا موسى الأشعري رضى الله عنه سلم على عمر من وراء الباب ثلاث مرات فلم يؤذن ، فرجع فأرسل عمر في أثره فقال لم رجعت ؟ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذا سلم أحدكم ثلاثا فلم يجب فليرجع قال : لتأتينى على ذلك ببينة أو لأعلن بك ، فجاءنا أبو موسى منتعما لونه ونحن جلوس ، فقلنا ما شأنك فأخبرنا وقال : هل سمع أحد منكم فقلنا نعم كلنا سمعنا فأرسلوا معه رجلا منهم حتى أتى عمر فأخبره . أحب عمر أن يتأكد عنده خبر أبى موسى يقول صاحب آخر في هذا دليل على أن

الخبر اذا رواه ثقتان كان أقوى وأرجح مما انفرد به واحد .
ولا يلزم من كلام الذهبي رحمه الله أن يكون الخبر الواحد ليس بحجة أو أنه لا يفيد العلم ، وأن كان أكثر العلماء من المتأخرين يقولون إن الخبر الواحد يفيد الظن فقط ، ولا يفيد العلم إلا خبر التواتر ، قال المحققون إن خبر الواحد قد يحتف به من القرائن ما يجعله يفيد العلم ، وقد عقد البخاري رحمه الله لذلك باباً في صحيحه وأورد حججاً كثيرة فليراجع — ولا يفهم من تثبت عمر رضى الله عنه أنه كان لا يقول بأن خبر الواحد حجة فأنه رضى الله عنه هو نفسه حدث بأحاديث كثيرة انفرد بها وقبل خبر الواحد وجعل حجة حين كان يفتى بأن من أجنب ولم يجد ماء إلا يتيمم بل يترك الصلاة حتى يجد الماء فجاءه عمار بن ياسر وذكر أنه كان معه في سرية فاجنبا جميعاً فأما عمر فترك الصلاة ، وأما عمار فتمسك كما تتمسك الدابة في الصميد ، فلما رجعا أخبرا النبي صلى الله عليه وسلم فقال لعمار : « إنما يكفيك أن تفعل هكذا » وضرب بيده الأرض ضربة واحدة فمسح بها وجهه وظاهر كفيه صلى الله عليه وسلم فعند ذلك قال عمر لعمار أبصر ما تقول يا عمار ، فقال إن شئت لم أحدث به ، فقال لا بل نحكك ما تحملك والقصة مشهورة في كتب الحديث . .

بعض مروياته :

لا يتسع المقام لذكر كثير من مرويات هذا الإمام وهي سهلة التناول في كتب الحديث ، ولا سيما كتاب المسند للإمام أحمد بن حنبل ، فقد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه (٣١٠) أحاديث ولكني أردت أن أئخب بعض مروياته لاختتم بها هذا المقال تبركاً ليكون ختامه مسكاً وسأذكره بترتيب المحقق أحمد شاكراً رحمه الله — ٨٩ — قال الإمام أحمد بسنده عن معمر بن أبي طلحة اليعمرى إن عمر بن الخطاب قام على المنبر يوم الجمعة فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر أبا بكر ثم قال : رأيت رؤيا لا أراها إلا لحضور أجلى ، رأيت كأن ديكاً نقرني نقرتين ، قال وذكر لى أنه ديك أحمر فقصصتها على أسماء بنت مهبس امرأة أبى بكر فقالت : يفتك رجل من العجم قال وإن الناس يأمرؤنى أن استخلف وإن الله لم يكن ليضيع دينه وخلافته التى بعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن يعجل لى أمر فإن الشورى فى هؤلاء الستة الذين مات نبي الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، فمن بايعه منهم فاسمعوا له وأطيعوا ، وإنى أعلم أناساً سيطعونون فى هذا الأمر أنا قاتلتهم بيدي هذه على الاسلام أولئك أعداء الله الكفار والضلال وإيم الله ما أترك فيها عهد إلى ربى فاستخلفنى شيئاً أهم إلى من الكلالة وإيم الله ما أغلظ إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم فى شيء منذ صحبتته أشد مما أغلظ لى فى شأن الكلالة حتى طعن بأصبعه فى صدرى ، وقال تكفيك آية الصنف التى نزلت فى آخر سورة النساء وإنى أعش فساتضى فيها بقضاء يعلمه من يقرأ ومن لا يقرأ وإنى أشهد الله على أمراء الامصار ، وإنى إنما بعثتهم ليعلموا الناس ويبينوا لهم سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ويرفعوا إلى ما عصى عليهم ، ثم أنكم أيها الناس تأكلون من شجرتين لا أراها إلا خبيثتين هذا الثوم والبصل ، وإيم الله لقد كنت أرى نبي الله صلى الله عليه وسلم يجد ريحهما من الرجل فيأمر به فيأخذه بيده فيخرج به من المسجد حتى يؤتى به البقيع ، فمن أكلهما لا بد فليمتهما طبعاً ، قال فخطب الناس يوم

الجمعة وأصيب يوم الاربعاء ، رواه مسلم أيضا .

٩ - قال الامام أحمد بسنده عن عبد الله بن عمر قال . خرجت أنا والزبير والمقداد بن الاسود الى أموالنا بخيبر نتعاهدها فلما قدمناها تفرقنا في أموالنا ، قال فعدي على تحت الليل وأنا نائم على فراش ففدعت يداي من مرفقي فلما أصبحت استصرخ على صاحباي فأتياي فسالاني عن صنع هذا بك ، قلت لا أدري قال فأصلحا من يدي ثم قدما بي على عمر فقال هذا عمل يهود ، ثم قام في الناس خطيبا ، قال ايها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عامل يهود خيبر على أنا نخرجهم اذا شئنا وقد عدوا على عبد الله بن عمر ففدعوا يديه كما بلغكم من عدوتهم على الانصار قبله لا نشك أنهم أصحابهم ليس لنا هناك عدو غيرهم فمن كان له مال بخيبر فليحلقه به فأتى مخرج اليهود فأخرجهم .

قال الامام أحمد بسنده عن الحارث بن معاوية الكندي انه ركب الى عمر بن الخطاب يسأله عن ثلاث خلال : قال فقدم المدينة فسأله عمر ما أقدمك ؟ قال لاسألك عن ثلاث خلال قال وما هن ، قال ربها كنت أنا والمرأة في بناء ضيق فحضر الصلاة فان صليت أنا وهي كانت بحذاءي ، وإن صليت خلفي خرجت من البناء ؟ فقال عمر تستر بينك وبينها بثوب ثم صلى بحذاءك أن شئت ، وعن الركعتين بعد العصر ، فقال نهاني عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وعن القصص ؟ فأنهم أرادوني على القصص ؟ قال ما شئت كأنه كره أن يمنعه قال إنها أردت أن أنتهي الى قولك قال : أخشى عليك أن تقص فترتفع عليهم في نفسك ثم تقص فترتفع حتى يخيّل اليك أنك موتهم بمنزلة الثريا فيضرك الله تحت أقدامهم يوم القيامة بقدر ذلك .

في هذا الحديث فوائد أذكر بعضها :-

الاولى : علو همة السلف وجدهم وصدقهم في طلب العلم فان الحارث ابن معاوية سافر الى عمر ليسأله عن هذه المسائل الثلاث وكان في مكانه أن يكتب اليه أو أن يكلف أحد المسافرين أن يسأله ويأتيه الجواب .
الثانية : فقه عمر رضي الله عنه إذ أفقاه أن يجعل ثوبا يحول بينه وبين المرأة وتصلى الى جانبه فكانه فهم أن الحكمة في تأخر الزوجة اذا اقتدت بزوجها منع الملامسة وما أشبهها من الاستمتاع كالنظر فأباح صلاتها الى جانبه للضرورة .

الثالثة : كان عمر رضي الله عنه شديدا على من يصلى ركعتين بعد العصر حتى انه تغيط على علي بن أبي طالب حين صلاهما والذي نختاره وندين الله به أن النافلة بعد العصر لا تجوز حتى تغرب الشمس سواء أكان لها سبب أم لا ..

الرابعة : اللغة وما أعظمها من فائدة وأجدرها بالاعتبار وهي القصص ومعنى القصص في لغة ذلك الزمان الوعظ والتعليم فقد خاف عمر رضي الله عنه على سائله مع فضله وتقواه وورعه اذا انتصب للوعظ والارشاد أن يشعر بالتعظيم والكبر فيخسر خسرانا مبيها فنهاه عن ذلك ..

ومحل ذلك اذا كان هناك من العلماء من يقوم لهذا الواجب ولم يتعين عليه والا وجب عليه أن يستعين بالله تعالى على النفس الامارة ويعظ ويعلم ويرشد ولا يترك الوعظ خوفا من ذلك ..

الحج

والعبادة المتكاملة

على القارئ المؤمن فهو نابع من
العجز في الفهم والقصور في التفكير
والانفعالية في الرؤية .

كيف تفهم القرآن ؟ :

والسبيل الى فهم القرآن لا تتحدد
ابعادها كما لا تتعين اتجاهاتها الا حين
يدرس كلام الله ككل لا كآيات منفصل
بعضها عن بعض . فالقرآن لا يفهم الا
بالقرآن كله . تماما كما هو الكون
الذي خلقه الله سبحانه وتعالى
واخضعه لسنن وقوانين دقيقة ثابتة
لا تتغير .

وكما أن الاخطاء في فهم الكون
ناجمة من اقتطاع جزء منه دون الاجزاء
الآخري فان الاخطاء في فهم القرآن
الكريم ناجمة هي بدورها من الاقتصار
على تدبر آية أو آيات معينة دون بقية
كلمات الله .

إذا لم يكن في الفكر القرآني غير
تلك الصورة المتكاملة التي تستوعب
في خطوطها والوانها ابعاد الوجود
الإنساني كله ، فقد كفاها برحانا على
عظمة هذا الدين الذي من الله به علينا
وجعل منه طريق الهداية والرشاد .

عندما يقول الله سبحانه وتعالى
في سورة المائدة : « اليوم اكملت
لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي
ورضيت لكم الاسلام ديناً » فقد قصد
بهذا القول الكريم الى تقرير واقع
الصورة التي يستخرجها المتدبر لآيات
الله وكلماته المنزلة ويكتشفها
بكامل خطوطها والوانها وفنون التعبير
مرسومة في دقة بالغة .

نعم أن القارئ المتدبر الذكي قادر
بصورة من الصور على استيعاب
الرؤية القرآنية التي هي بدورها
حكاية دقيقة ومعجزة لواقع الإنسان
والكون وعلاقتها بالخالق جل وعلا .
وإذا كان هناك ما يفضي معناه

في الإسلام

للإشاذ رمضان لاوتد

انعكاس لوحدة الإرادة الخالقة
والسنة التي تعين بها مسيرة الخلق
من بعد . وقد علمنا سبحانه وتعالى
هذه الحقيقة حين قال لنا :

١ - في الآية الثانية من سورة
الفرقان : (ولم يكن له شريك في الملك
وخلق كل شيء فقدره تقديرا » .

٢ - في الآية الحادية والعشرين
من سورة الحجر : « وأن من شيء إلا
عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر
معلوم » .

٣ - في الآية التاسعة والأربعين
من سورة القمر : « أنا كل شيء خلقناه
بقدر » .

٥ - في الآية الثامنة عشرة من
سورة المؤمنون : « وأنزلنا من السماء
ماء بقدر فأسكناه في الأرض » .
حتى السيول التي تسيل بها الوديان
تتجمع بقدر معين ، والظاهرة نفسها
تتكرر في وقائع الحياة والموت ،

والجدير بالذكر أن هناك وحدة
متكاملة لا تقبل التجزئة والانقسام
في ذكر الله . أن كل سورة بل كل
آية بل كل كلمة تتردد بها معاني معينة
أو تتكرر بها بعض المعاني دون بعض
هي أشياء في صميم الرؤية الفكرية
المتكاملة للقرآن الكريم .

في ضوء هذه الحقيقة التي نقررها
بمثابة مدخل لدراسة آيات الله
نستطيع أن نقول : أن المعجزة
القرآنية ليست في ظاهرة معينة من
التعبير بل هي في الظواهر كلها .
البيانية منها والفكرية والأخلاقية
والتعبيرية بالإضافة إلى ما يتقرر بها
من فنون التكرار والإلحاح في معنى
دون آخر وفي وجهة دون وجهة
أخرى .

أن وحدة الوعي القرآني هي صورة
لوحدة الوجود الكوني كله وبالتالي

جافزا يحفظنا جميعا لاعادة النظر وتقليب وجوه الراى والتأمل العميق فى أبعاد الفطرة حتى ياتى اليوم الذى تكتشف فيه تلك الوحدة القرآنية المعجزة .

الشمول فى العبادات :

واذا كانت هناك عبادات معينة ذات شروط وحركات خاصة من مثل الصوم والصلاة والحج والزكاة والنطق بالشهادتين فهى لا تقف عند هذه الحركات والتصرفات وحسب بل تنتشر فى عالم الانسان كله وتنسحب على فنون فكره وعقله حتى يكون كل أمر ذى بال من أمور الانسان شيئا داخلا فى مفهوم هذه العبادة . أو ليس أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد قال لأصحابه : « كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أجزم » ؟ أو ليست البسلة هنا إعلانا عن نوع من أنواع العبادة ؟ أو ليست تعبيراً عن ارادة الوحدة فى تقرير الارتباط الشامل والواعى بين الانسان وربّه وبينهما والكون كله .

عبادة الحج :

فى ضوء هذا المفهوم الشامل للعبادة نستطيع أن نتعرف الى الخطوط الرئيسية فى صورة العبادة كما نتعرف الى اللمسات الدقيقة التى ترافق هذه الخطوط فتكمل بها صورة العابد وبالتالى يتم بها التكامل الذى يجعل من الانسان وجودا فى مكانه الطبيعى من الوجود الكونى كله .
فالحج ركن من أركان الاسلام . اذا تركه المسلمون مع توفر شروطه فقد ارتكبوا أثما عظيما ، واغفدوا بالتالى الشخصية الاسلامية التى تحكى حكاية الفطرة ، والتي أطلق

والخراب والعمران ، والصحة والمرض ، وحركات الكواكب ، وتقلبات المناخ ، ومسيرة الرياح وغيرها من اجزاء الكون واثيياء الحياة ، كما تدخل فيها أيضا دقائق الانفعالات والافكار والمواطف .

هذه الوحدة ندرکہا من خلال آثارها وهى موضع لتناقضات عجيبة مدهشة فيها الكون والفساد والبقاء والفناء والثبات والتغير . وهى كلها تتعاقب على نحو معين وتبرز للمشاهد على صور متعددة من التغيرات خلا ظاهرة الوحدة فى الوجود التى لم تفسد أو تتفتت حتى اليوم وستبقى حتى ياتى امر الله .

ولما كانت وحدة الخلق والتكوين تعنى وحدة التفكير والسلوك والتصرف فقد وجب أن تكون الوحدة فى الرؤية القرآنية على صورة الوحدة الشاملة فى الكون كله .

هكذا غطى الله السهوات والارض وما فيها ، وهكذا يجب أن يكون الفكر القرآنى حكاية لهذه الفطرة وظاهرة من ظاهرات التعبير عن الحقيقة التى هى وحدها سبيلنا الى الله .

العبادات :

وكما أن كل ذرية من ذريات الجزئيات الدقيقة جانب ضرورى من جوانب الاستمرار فى هذه الجزئيات فان كل أمر أو نهى هو أيضا جانب ضرورى من جوانب التكامل فى الوحدة القرآنية .

يدخل فى ذلك بالطبع فنون العبادات واللوان المعاملات ، وكل أنواع السلوك والتصرف ، وينابيع التأمل والتدبر ، والعجز عن ادراك هذه الوحدة المعجزة أو المعجزة الموحدة فى القرآن الكريم لا يعنى انتفاءها وعدم وجودها بل يبدو لنا

الله سبحانه وتعالى عليها اسم
(الفطرة) بالذات أوليس أنه يقول في
محكم كتابه « فطرة الله التي فطر
الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك
الدين القيم » ؟

قصة الحج :

والحج ليس عبادة مشرعة مع
الاسلام وحسب ، فهو قديم قدم
الدعوة الى الله ، بدأ منذ بدأ وجود
مكة فما هو سبحانه وتعالى يقول في
الآية ٩٦ من سورة آل عمران « ان
أول بيت وضع للناس للذي ببكة
مباركا وهدى للعالمين » . وإذا فالعبادة
لله قد نشأت لأول مرة وخصص لها
بيت لأول مرة أيضا في مدينة مكة .
ولم تكن هناك عبادة يمارسها الإنسان
قبل نشوء هذا البيت المطهر الكريم .
أما الأحداث والتغيرات التي تعاقبت
من بعد ثابته لا تغير من حقيقة الحج
أبدا .

على أن عبادة الحج الى بيت الله
الحرام تدخل في التاريخ المعروف مع
ظهور أبى الانبياء ابراهيم الخليل
صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .
وإذا كان القرآن الكريم لم يحدثنا
حديث مكة والحج قبل هذا التاريخ فهو
لا معنى عدم وجودها بل يعنى أن حركة
التاريخ الإنساني الذي ارتفع الى
مستوى الدعوة المنظمة والمقررة في
كتب أو صحف منزلة قد انطلقت منذ
أيام ابراهيم الخليل .

وهذا هو السر في أن الآيات
القرآنية قد حدثتنا عن جهود ابراهيم
وولده في رفع القواعد من البيت أي
في رفع الجدران فوق قواعد المقررة
الثابتة . فهو يقول في الآية ١٢٧ ،
١٢٨ من سورة البقرة : « وإذا يرفع
ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل
ربنا تقبل منا أنك أنت السميع العليم .

ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا
أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب
علينا أنك أنت القواب الرحيم » .

ان الحقيقة التي نخرج بها من
هاتين الآيتين هي أن الجدران التي
رفعت فوق القواعد من بيت مكة اعلان
عن مرحلة جديدة في تاريخ الدعوة
الى الله . وقد تقررت بذلك الخطوة
ظاهرة الاسلام باعتبارها رسالة
الإنسان نحو نفسه ونحو الآخرين
حتى يوم القيامة . لقد دعا ابراهيم
وابنه اسماعيل ربهما أن يجعلهما
مسلمين له وأن يخرج من ذريتهما أمة
مسلمة له أيضا .

وليس هذا وحسب فقد أوحى الله
اليهما أن يطالباه ببعث رسول أو رسل
من هذه الأمة يتلو عليهم آيات الله
ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم كما
جاء في الآية ١٢٩ من سورة البقرة
نفسها « ربنا وأبعث فيهم رسولا منهم
يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويزكيهم أنك أنت العزيز
الحكيم » .

هذا الموقف الديني التاريخي منح
بيت مكة مكانة خاصة من دون بيوت
الله الأخرى . فكان الحج اليه بمثابة
الاحتفال الدوري بالرسالة التي يرمز
اليها ، والمهمة التي يقوم بها في
مسيرة العقيدة البشرية .

في هذا البيت يجد الناس مثابة
وأمانا ويحسون في جواره بالرضى
والطمأنينة ويقتربون في ظله من
رحمة الله عز وجل ، ثم يجدون شيئا
آخر فيه هو المصلى الذي تتطهر به
النفوس .

وإذا تقرر في علم الله أن يكون
الحج الى هذا البيت الكريم آية على
كل هذه المعاني فقد توجه الأمر الى
ابراهيم واسماعيل عليهما السلام
بالمبادرة الى تطهيره واعداه بحيث
يصبح صالحا للطائفين والماتكين علي

اغراض اخرى :

وفى تقديرنا ان هذا الوادى المحروم من الماء والزرع قد وقع الاختيار عليه لاجراض اخرى غير التى ذكرناها من قبل .

اولا : ان القحولة فى ارضه وسيلة لتذكير الانسان بعريه امام الله ، يخرج منها من حوله وطوله وماله ورزقه ليجد نفسه امام الذات الالهية فقيرا اليه سبحانه ، وتتضح فى نفسه امام الصورة الكاملة للسلطة الالهية العليا والوحيدة ، فليس اشد اغراء للانسان واثارة لغروره من ان يجد معالم الثراء تحيط به من كل جانب ثانيا : ان الناس فى حاجة مستمدة الى ينبوع يلجأون اليه كلما نزل بهم ضرر او اغواهم الشيطان او صرفتهم الصوارف عن ذكر الله وليس كالمصحراء بما فيها من العرى التام ومن العزلة عن متاع الدنيا وزينتها مصدرنا لمثل المعنى الذى تحدثنا عنه قبل .

ثالثا : ان التربية الاعتقادية فى الاسلام قد قصدت ، بجعل الوادى التاحل مكانا لعبادة الحج ، الى ان تعلن حقيقة نفسية اجتماعية هى ان عناصر التقدم فى المجتمع ليست محددة بمواطن الثروة المادية وحسب ولكن هذه العناصر فى حاجة مستمرة الى تلك الطاقة الروحية والمتوفرة فى مفهوم العبادة المحضة ، والتى بدورها تفعّل ارادة التعاون والتجمع والجهاد . واستمرار مكة مدينة حافلة بالحياة رغم كسل الظروف وكل المعوقات المادية هو الاية والعلامة على ان العامل الروحي الذى تصنعه العقيدة هو عنصر اساسى من عناصر التكوين المجتمعى ومصدر لانطلاقة مسيرة الحضارة البشرية .

العبادة فيه من راكعين وساجدين ، هذه المعانى نجدها فى قوله تعالى فى الاية ١٢٥ من سورة البقرة . « واذا جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود » .

ولكن كيف يمكن الاحتفاظ بهذا البيت على الصورة التى ارادها الله له ؟

وبجيب ابراهيم الخليل عليه السلام على هذا التساؤل بوحى من السماء فيتوجه بالدعاء الى الله يسأله ان يجعل مكة بلدا آمنا وان يرزق اهله من الثمرات بحيث تستمر اسباب الحياة فيه ويكون فى كسل الظروف صالحا لاستقبال افواج الحجاج اليه .

ورد هذا المعنى فى جزء من الاية ١٢٦ من سورة البقرة حيث يقول تعالى : « واذا قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر » .

نقطة ارتكاز :

حتى هنا تبرز مكة فى تاريخ الدعوة الى الله مرتكزا تدور جهود المؤمنين من حوله يلجأون اليه فى كل عام ليتبادلوا فيه الراى ويفزوا بحرمته ومعناه حرارة العقيدة وارادة الكفاح من اجلها ، ويجدوا الى جانب هذا الغذاء الروحي ، بفضل الاحساس العميق بوحدة الرسالة والمصير منافع لهم تمهد الطريق لتبادل المصالح المادية عن طريق التجارة او تبادل المساعدات بحيث يتم التلاحم ، ويتكامل القوادى ، وتتعمق جذور الوجود المادى والروحي لمجتمع المسلمين فى العالم كله .

ان قدرة العقيدة على استقطاب الرجال والنساء واجتذابهم لزيارة هذا الوادي المبارك هي وحدها التي تفسر احتفاظ مدينة مكة بوجودها الدائم .

رابعا : ان وجود البيت الحرام في الارض الغبراء والذي يرمز السي الوجود المستمر للعقيدة الاسلامية يبدو لنا بمثابة الضمانة المادية دون انصراف الاطباع الكافرة اليه . فليس في ارضه ما يفسر اعداء الاسلام على اجتياحه او يدفعهم الى القضاء على معاله الدينية .

اخلاق الحج :

اذا كان البيت الحرام مثابة للناس وامنا ، واذا كان وادي مكة مكانا صالحا للمعبدة ولتبادل المنافع بين الناس كما جاء في بعض آيات الذكر الحكيم ، فقد وجب ان يكون السلام شرطا اول للحفاظ على هذا الأمن وتلك المثابة من ناحية ، ولتوفير الظروف المادية التي تساعد على تبادل المنافع بين الناس من ناحية أخرى ، كما وجب ان يتقيد المؤمن بأخلاق الانتقاء فيمتنع عن كل تصرف أو سلوك يتعارضان مع مفهوم العبادة أولا والسلام ثانيا ، ومن هنا كان قوله تعالى في الآية ١٩٧ من سورة البقرة « الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الالباب . »

في هذه الآية القرآنية دعوة صريحة للتجاوب مع معنى المثابة والأمن في مكة خلال أيام الحج ، أنها دعوة للامتناع عن فحش الكلام وعن الخروج على حدود الشريعة بل هي دعوة للامتناع من الخصومة والمشاحنات

حتى في دقيق الأمور وصغيرها ، ان السلام في فترة الحج يجب ان يكون ظاهرة شاملة في داخل النفوس وفي العلاقات بين الناس ، انه يعني التطهر الكامل فهو يذكرنا بما يمكن ان نسميه اليوم بعملية غسل القلوب والعقول من أدران النيات الفاسدة ومن أغراض الشهوات الدنيا .

فاذا بلغ الحاج المؤمن هذه المرحلة من التطهر الذاتي ، وبعد ان يصبح السلام هو المحتوى الحقيقي لعالمه الخاص في ظاهره وباطنه ، فان في وسع الناس من بعد ان يتفوا فضلا من ربهم ، وان يتبادلوا التجارات وأن يحققوا المكاسب المشروعة بالحفاظ على حدود الله .

عملية تربوية متكاملة :

في ضوء هذه الصورة الدينية التي رسمها القرآن الكريم لعبادة الحج نستطيع ان نستبين الأبعاد الحقيقية للتربية الاسلامية ، هذه الأبعاد تعني ان الفرض من الحج هو الغرض المقصود نفسه من عبادة في الاسلام أو من الثقافة الاسلامية كلها ، فالعبادة في الاسلام ليست مجرد طقوس تؤدي ، ولكنها طقوس يقوم بها صاحبها في صميم حركة الحياة اليومية بكل ما فيها من تبادل المنافع واختلاط المصالح واشباع الرغبات .

والناس في نظر الاسلام ليسوا ملائكة معصومين من ضغط المطالب الدنيوية ، ان مهمتهم لا تقف عند العبادات الروحية المحضة ذلك ان عباداتهم تنسحب في معانيها وأعراضها على أشياء الحياة العملية .

الطواف حول الكعبة عبادة محضة ، ولكن الطواف يشتمل على معنى يجب ان ينسحب على التجساسة أيضا ،

فالتجارة الصالحة عبادة ولا يبلغ الملوأف غرضه المقصود الا بالقيام بالعمل الصالح ، وفي هذا الربط الذى يشد التجارة الى العبادة ، ويجعل منها طرفين لوجود واحد مشترك آية على أن الوجود الانسانى كله هو عملية تمعبية .

فالعمل المتقن عبادة ، والكفاح فى سبيل رفح بمستوى العيش ، وتوفير أسباب الراحة للناس عبادة ، وحسن السياسة فى التعامل مع الناس عبادة شرط أن تكون وراء كل هذه التصرفات الدنيوية ارادة العمل لوجه الله والاستفارة بنور الله .

الحج كل وجزء من الكل :

واذا مالحج عبادة متكاملة تلاحم بها العقيدة والعمل ، ولكنه فى الوقت نفسه جزء من العبادة الشاملة فى الاسلام ، ان العملية التربوية فى عبادة الحج تتكرر على صور أخرى فى مبادات الصلاة والصوم والزكاة ، وان كلا من هذه العبادات وحيدة متكاملة تستوعب الغرض العام من الدعوة الى الله ، ولكنها فى الوقت نفسه جزء مكمل للعبادات الأخرى بحيث لا تغنى الواحدة منها عن غيرها أبدا . هذا هو معنى الرؤية المتكاملة فى العقيدة والشريعة ، انها تستوعب كل الاوامر والنواهي بحيث تتحقق بها وحدة التربية الدينية الشاملة .

بين العبادة والكون :

ولتقريب رايانا فى مفهوم العبادة

نستطيع أن نقول ان البناء الكونى العام هو صورة لمفهوم العبادة فى الاسلام ، فإذا كانت الذرة البافسة الصغر ، كما يقر علماء الفيزياء صورة لحركة الكواكب فى الفضاء كما يقررها علماء الفلك فان هذا لا يعنى أن الكون فى بنائه الذرى يمكن أن يستغنى عن بنائه النجمى ، ان وحدته تتحقق بتحقيق التلاحم بين بناء الذرة وبناء المجرات ، فالكمل أجزاء لوحدة متكاملة لا يلبث أن يفقد أصلته حين ينقسم أى جزء منه عن الأجزاء الأخرى ، هكذا العبادات فى الاسلام طقوسا تؤدي أو تصرفات تصدر عن صاحبها ، هذه وطك وحدة متكاملة لا انفصام لأجزائها بعضها عن بعض .

فى ضوء هذا المفهوم نواجه عبادة الحج ، ومن خلاله نضع هذه العبادة فى صميم البناء التعميدى الإسلامى كله ، وإذا كان المسلمون اليوم ينتقدون النتائج المترتبة على العقيدة والعمل فى الاسلام ، وهى التى وعدنا الله بها فى كتابه الكريم ، وفى مقدمتها النصر والعزة والسيادة فلان العابد المسلم يعيش حالة من الانفصام ينتقد معها الاحساس القوى بوحدة العملية التربوية فى الاسلام .

ان النطق بالشهادتين هو المدخل الوحيد للانضواء فى عالم الاسلام وللالتزام بمسؤولياته كلها ، فإذا لم يكن الانضواء كاملا والالتزام شاملا ، فقد فقد النطق بالشهادتين وحدته والغرض والمقصود منه ، ان الاسلام لا يؤخذ بصفه ويترك بمصفه بل يشترط فى صاحبه أن يحتفظ به وحدة متكاملة الأجزاء .

حكم الاسلام

في التلقيح الصناعي

للكولومبي

لقد تداولت الصحف والاذاعات العالمية في الآونة الأخيرة مسألة التلقيح الصناعي للإنسان ودارت ندوات عديدة وكتبت أبحاث متفرقة حول هذا الموضوع تمالجه من جميع جوانبه الطبية والقانونية والاجتماعية وغيرها ، وكان لزاما على فقهاء الشريعة الإسلامية أن يبحثوا في هذا الموضوع قبل غيرهم ويبينوا حكم الاسلام فيه وموقفه منه إيجابا وتحريما ، لان قولهم الفصل في مثل هذا الموضوع الخطير الذي يتعدى كونه مظهرا من مظاهر الابداع العقلي والتقدم الحضاري كسائر مظاهر التقدم والابداع والاختراع التي توصلت اليها الإنسانية في شتى المجالات الصناعية وغيرها ، ذلك ان الجنس البشري والمحافظة عليه نقيما مكرما هو الثمرة التي تسمى لخدمتها كل المخترعات وكل مظاهر التقدم والحضارة الأخرى ، ومن هنا جاءت خطورة هذا الموضوع الشائك .

الا ان فقهاء الشريعة الاسلامية — لا فى سورية وحدها بل فى العالم الاسلامى كله — تأخروا عن زملائهم علماء الحياة فى البحث فى هذا الموضوع ، ولعل عذرهم فى ذلك هو استبعادهم الكامل لنجاح مثل هذه التجارب وايمانهم العميق باخفاقتها من الناحية الطبية ..

الا ان هذا الاعتذار لا يمكن ان يكون مقبولا ولا مبررا لابتعادهم عن دراسة مثل هذه المشكلة ، ذلك ان هذه النظرية غير مستحيلة عقلا ولا شرعا ولا طبيا ، وليس هناك من يستطيع الجزم باخفاقتها فضلا عن ان بوادر نجاحها اصبحت ظاهرة جليلة ، وعلى اى تقدير فان عليهم ان يدرسوها ويبينوا حكم الاسلام فيها ، وعلى ضوء هذا الحكم الذى يتفقون عليه ينبغى على الطب والعلم ان يتابع طريقه او يتوقف عن متابعة التجارب ، او على الاقل على العلماء والاطباء المسلمين ومن يؤمن ويعتقد بعالمية الشريعة الاسلامية ودقة احكامها ان يلتزم بذلك وعلى غيرهم ان يستشير بهذا الحكم فيكون منبها له يضع اصابعه على مواطن الخطر فيها هو بصدد من ابحاث وتجارب .

والى ان يتم البحث فى هذه المشكلة او النظرية بين علماء المسلمين فى مؤتمراتهم واجتماعاتهم الدولية او المحلية ارى ان من واجبي ضرورة القاء بعض الاضواء الفقهية على هذا الموضوع ، وهى اضواء — اعترف مسبقا — بأنها خافتة قد لا تستطيع ان تثير السبيل وتوضح معالم الشعاب المتعددة فيه ، ولكنها جهد المقل ، ولعلها تستطيع ان تثير انتباه فقهاء المسلمين نحو بحث هذا الموضوع على الشكل الذى يتطلبه .

لم يتعرض فقهاء المسلمين السابقون الى بحث هذه المشكلة بالذات لانها لم تكن معروفة لديهم ولا متوقعة فى عصرهم ، ولو انهم بحثوها فى زمنهم لاتهموا بالشطط فى البحث وإضاعة الوقت ، ويكفيهم ما اتهموا به — من قبل بعض الناس زورا وبهتانا — بالسفسطة عندما تعرضوا لمسائل يتعذر وقوعها ان يستبعد عادة حتى سموهم بالارائيين لكثرة ما يصورونه فى المسائل الفقهية من احتمالات ممكنة الوقوع عقلا وان كان وقوعها مستبعدا عرفا ، مما اغنى الفقه الاسلامى بثروة تشريعية ضخمة تعتبر كنزا دميئا لنا ونحن نعيش عصر نهضة وتقدم نحتاج فيه الى الكثير مما كان يعتبر بحثه عبثا او اضعاء للوقت بعد ان اصبحت واقعا لا مئاض من دراسته وبيان حكم الاسلام فيه .

ولكن عسدم تعرض الفقهاء لدراسة هذا الموضوع لا يعنى بحال ان ليس للاسلام حكم فيه ، بل يعنى ان علينا ان نرجع الى مصادر الفقه الاسلامى نستنتجها الحكم الشرعى فى هذه المسألة كما كان يفعل الفقهاء والمجتهدون رضى الله عنهم ، ونحن ان كنا نقصر عن الوصول الى مرتبة فى العلم والنظر فما علينا الا ان نستهدى فى تخريجنا لحكم هذه المسألة بقواعدهم وضوابطهم مستلهمين الله تعالى التسديد والتوفيق للوصول الى الحق ..

ان من القواعد الفقهية الكلية قولهم : « الاصل فى الاشياء الاباحة ، والاصل فى الفروج التحريم » .

هذه القاعدة الفقهية الثبينة تعنى ان كل الاشياء تعتبر مباحة حتى يقوم الدليل على تحريمها الا مسائل الفروج فانها على عكس ذلك تعتبر محرمة

حتى يقوم الدليل على إباحتها ، والمراد بمسائل الفروج أحكام الزواج والطلاق وما يتبعها من الأبواب والفصول الفقهية . وبما أن التلقيح الصناعي للانسان من هذه الأبواب فما علينا الا أن نطبق هذه القاعدة عليه فنعتبر ان الأصل فيه التحريم حتى يقوم دليل الحل ، ثم نبحث عن هذا الدليل .

يؤيد مدلول هذه القاعدة الفقهية قوله تعالى « يسألونك عن المحيض قل هو اذى ... فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله » فان ذلك يدل على ان أصل اتصال الرجل بالمرأة حرام الا بالشروط والاضاع والاشكال التي ورد الاذن بها من الله تعالى ، كما يؤيده قوله تعالى « نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انا شئتم » فانه يبين المكان الذى اذن الله تعالى باتصال الزوج بزوجه منه وهو القبل اذ هو مكان البذر فكان غيره محرما بمفهوم هذه الآية .

ثم اننا اذا رجعنا الى المفهوم السامى الذى شرع الله تعالى من أجله التزاوج بين الرجل والمرأة لوجدناه يتجسد فى ايجاد السكن النفسى بين الزوجين بحيث يرتع الاطفال فى كتفه ويمشون فى ردهاته ويشمرون تحت ظله بالعزة والكرامة التى غطر الله الانسان عليها وحققها فيه بقوله سبحانه « ولقد كرّمنا بنى آدم » ، ومن أجل ذلك حرم الاسلام الزنا لما فيه من امتهان واستهتار بالولد وحقوقه واضاعة لكرامته وقضاء على كبريائه والاغاي كرامة لابن الزنا الذى لا يعرف له أب يرعاه ويصونه ويقوم باوده وبالتالي اى كرامة لذلك الطفل الذى يصنع فى انبوية الاختبار وينمى فيها كما تنمى فراخ الدجاج تماما دونما فارق بينهما ، بل اى كرامة او عزة لذلك الطفل الذى اختلط فى رحم امه ماء أبيه وماء رجل آخر حمل اليها فى حقنة ليكون عنصرا مساعدا فى انجابها ، اى كرامة لهذا الانسان الذى زج به فى رحم امه بواسطة المحقن كما يزج أى دواء او علاج آخر ..

فاذا طلب منا ان نتنازل عن الكرامة ونتغاضى عن العزة الانسانية فى سبيل اغراض أخرى فان ذلك معناه التنازل عن انسانيتنا فنكون نوعا من انواع تلك البهائم التى ترتع فى أرض الله لا تارق بيننا وبينها ، اذ الكرامة الانسانية وحدها هى العنصر المميز لنا عن انواع الحيوانات الأخرى ، ولا اعتقد ان احدا ممن يحاولون انجاح التلقيح الصناعي للانسان يرضى بالنزول عن كرامته الانسانية او شىء منها لى غرض كان .

لذلك فاننا لا بد ان نقرر ان لا دليل مطلقا على حل هذا التلقيح الصناعي فى الكتاب والسنة ومذاهب الفقهاء ، وعلى ذلك يكون محرما طبقا للقاعدة الفقهية السابقة - ، بل أكثر من ذلك فان الدليل قائم على الحرمة ايضا بالنظر لانتفاء معانى الكرامة الانسانية فى طرق التلقيح الصناعي للانسان الذى لم يبيع الله سبحانه اتصال الرجل بالمرأة الا بعد ضمانه حفاظا عليه وصونا له .

وتوضيحا لذلك أرى من المناسب تفصيل القول فى جميع الطرق الممكنة لهذا التلقيح والتعليق على كل طريقة منها بما يناسبها ، فان لكل طريقة من هذه الطرق معناها الخاص وميزانها وبالتالي التكيف الفقهي لها ..

وأهم هذه الطرق هي :-

١ - أن يتم حمل النطفة من الزوج الى رحم المرأة بطريق آمنة صناعية لضعف الزوج عن إيصالها الى رحم زوجته بسبب مرض أو عيب .

٢ - أن يتم نقل نطفة رجل غريب الى رحم الزوجة لعدم صلاحية نطفة الزوج للأنجاب .

٣ - أن يتم الجمع بين نطفة الزوج وبويضة المرأة في أنبوب اختبار لعدم تمكن الزوج من الاتصال بزوجه اتصالاً طبيعياً مثلاً ، أو لأهداف علمية أخرى .

٤ - أن يتم جمع نطفة الزوج ببويضة المرأة ولو أجنبية عنه في أنبوب اختبار .

هذه الصور الأربع للتطعيم الصناعي هي الممكنة والغالبية في موضوعنا ، وعليها أن ندرسها على ضوء الأحكام الفقهية العامة المتقدمة واحدة واحدة ..

١ - الصورة الأولى يحكم الإسلام بحرمتها (١) من غير جدال ، ذلك أن الله شرع الاتصال الجنسي بين الزوجين لغاية أساسية أولى هي تأمين السكن النفسي الناتج عن المتعة الجنسية والعاطفية ، وثانية تابعة لها وهي انجاب الأطفال ضماناً لاستمرار النوع البشري ، وهذه الصورة إن كانت تحقق لنا غاية الزواج الثانية فإنها لا تحقق الغاية الأساسية الأولى التي لا تقبل الثانية إلا بعد تحققها ، مصداقاً لقوله تعالى : « .. وجعل منها زوجها ليسكن إليها .. » وقوله تعالى « من لباس لكم وأنتم لباس لهن » وغنى عن البيان أن هذه الصورة لا تحقق مطلقاً الإشباع العاطفي والنفسي لواحد من الزوجين ، وبالتالي تكون محرمة طبقاً للقاعدة الفقهية التي أوردناها في أول هذا البحث وهي « الأصل في الفروج التحريم حتى يقوم الدليل على الحل » ..

٢ - أما الصورة الثانية ، فهي زنا من كل وجه ، ومعروف لكل إنسان موقف الإسلام من الزنا ، بل موقف العالم كله منه ، والأغما الفرق بين اتصال رجل بامرأة أجنبية عنه اتصالاً طبيعياً أو اتصالاً غير طبيعي ينقل نطفته الى رحمها - ما دام المعنى العام لتحريم الزنا في الإسلام أنها هو الحفاظ على نقاوة الانساب ، بل أين الكرامة الإنسانية لهذا المولود المتخلق من هذا الإشراج غير الكريم وغير المحترم ، وإذا ماتت الكرامة الإنسانية انعدم الحل لارتباطه بها كما أسلفنا ، وإذا كان لنا أن نبين هذا العمل في حق الحيوان لأن المعنى فيه هو مطلق إيجاده كيفما كان تحقينا لرغاه الإنسان ، فليس الأمر كذلك في حق الإنسان لأنه الغاية التي خلق الله الحيوانات لخدمته وسخرها له وفرق كبير بين الوسيلة والغاية ، ثم بأي التسيبين نصل هذا الطفل ، أنسب أبيه الفعلي صاحب النطفة أم بنسب زوج أمه الشرعي المسكين الذي ليس له في جسم هذا الطفل أي جزء أو أثر ، اليس في ذلك خلط للانساب وهناك للحرمة ودثر كامل لكرامة الإنسان التي أمعن الله عليه بها .

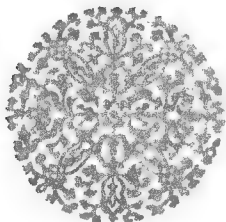
٣ - وأما الصورة الثالثة ، فعننى من البيان القول بحرمتها أيضا لما
فى ذلك من امتهان للكرامة الإنسانية التى حرص الإسلام عليها ولم يبح
الاتصال الجنىسى الا فى كنفها وبعد توفرها ،

وقد تدبنا ما فى هذه الصورة من امتهان لكرامة الانسان والحق
له بالحيوان العادى وتجريده من ائمن ما امتازه الله تعالى به من عزة
وكرامة عن جميع مخلوقاته الاخرى .

٤ - وأما الصورة الرابعة فى ادنى حالا من الصورة الثالثة ،
ولذلك فى محرمة لنفس الاسباب المتقدمة ولما فيها من إضاعة للنسب
وتشريد لهذا الطفل المخلوق .

هذه هى الصور التى رأيت أن التلقيح الصائم يمكن أن يتم عن
طريقها ، بحثنا بشكل مجمل والمحت الى حكم الإسلام فيها من وجهة نظرى
وفى حدود ما اتجه اليه قلبى من أنه الحق الذى لا مرأى فيه ، وهى بالتالى
ليست بحثا بقدر ما هى دعوة الى البحث والدراسة لهذا الموضوع وعرض
وجهات نظر الفقهاء المعنيين بالابحاث والدراسات الإسلامية ، وكما كان
بودى لو يمرض هذا الموضوع الخطير فى نتائجه وآثاره على مؤتمر
البحوث الإسلامية فى دورته القادمة ليقول فيه تولته ويبدى فيه رأيه
كما يفعل فى كثير من الموضوعات الإسلامية المستجدة ذات الخطر الكبير .

والله ولى التوفيق ..



الفا مائدة الفارسي

خاتنة الاعين

قال تعالى (يعلم خاتنة الاعين وما تخفي الصدور) .
قال سفيان الثوري — خاتنة الاعين الرجل يكون في المجلس يسترق
النظر في القوم الى المرأة تمر بهم فان راوه ينظر اليها اتعاهم فلم ينظر ،
وان غفلوا نظر . (وما تخفي الصدور) قال — ما يجد في نفسه من
الشهوة .

وقف الاعراس

من اوقاف المسلمين السابقين وقف الاعراس لاعارة الحلى الزينة في
الافراح . يستعير الفقير منه ما يلزمه في عرسه ، ثم يعيد ما استعاره
الى مكانه وتستعير العروس ما تتزين وتتحلى به في يوم عرسها ثم تعيده
الى مكانه وبهذا يتم الفرح وتمتلئ النفوس بالسرور ..

الجزء السادس

روى سعيد بن منصور في سننه عن عمر رضي الله عنه انه كان
— يعني عمر — يتناول طعامه اذ جاءه رجل يدعو ، وفي يده سيف ملطخ
بالدم ووراءه قوم يعدون خلفه فجاء حتى جلس مع عمر ، فجاء الآخرون ،
فقالوا يا امير المؤمنين ان هذا قتل صاحبنا ، فقال له عمر ما يقولون ؟ فقال
يا امير المؤمنين اني ضربت فخذى امرأتى فان كان بينهما احد فقد قتلتها ،
فقال عمر — ما يقول ؟ قالوا — يا امير المؤمنين انه ضرب بالسيف فوقع
في وسط الرجل وفخذى المرأة ، فاحذ عمر سيفه فهزه ثم دفعه اليه وقال
— ان عاد فعد .

نفقات حج عمر

لقى سفيان الثوري الخليفة ابا جعفر المنصور في منى ، فقال له
سفيان — اتق الله فانما انزلت وصرت في هذا الموضع بسيوف الانصار
والمهاجرين وابنائهم يموتون جوعا .
لقد حج عمر بن الخطاب فما انفق الا خمسة عشر دينارا ، وكان
منزله تحت الشجر فقال له ابو جعفر — اتريد ان اكون مثلك ، قال :
لا تكن مثلي ولكن كن دون ما انت فيه ، وفوق ما انا فيه .

دخول الكعبة

عن عائشة ام المؤمنين قالت
— دخل على رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوما فقال —
صنعت اليوم شيئا لو كنت
استقبلت من امرى ما استدبرت
ما صنعته ، قالت — قلت وما
ذاك يا رسول الله ؟ قال دخلت
البيت وانه لم يكتب علينا دخوله
إلّا كتب علينا طوافه .

تاويل آية

قوله تعالى (فمن فرض فيهن
الحج) احرم فيهن .

وقوله سبحانه (فلا رفث ولا
فسوق ولا جدال) الرفث
الجماع ، والفسوق السباب
والجدال — ان تمارى صاحبك
حتى تفضيه .

الصلاة على رسول الله

عن كعب بن عجرة قال — لما نزلت (يا ايها الذين آمنوا
صلوا عليه وسلموا تسليما) جاء رجل الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال — يا رسول الله — هذا السلام عليك قد
عرفناه ، فكيف الصلاة عليك ؟ فقال — اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وبارك
على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد
مجيد .

الإنسان بين المادة والروح

ندوة ثقافية اشترك فيها :
سعادة وزير الأوقاف ، والشؤون الإسلامية ، والشيخ محمد الغزالي

إعداد الأستاذ : عبد الله خليف

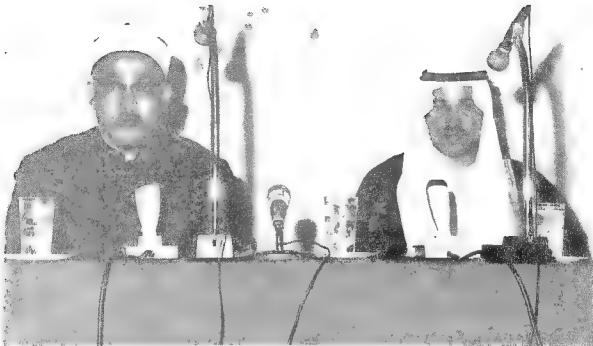
أقامت اللجنة الثقافية بجمعية الهلال الأحمر الكويتي أمسية ثقافية ، اشترك فيها وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الأستاذ راشد الفرهان والشيخ محمد الغزالي مدير إدارة الدعوة والإرشاد بوزارة الأوقاف في جمهورية مصر العربية ، وطرحت في هذه الأمسية ندوة عنوانها : « الإنسان بين المادة والروح » وقدم الأستاذين لجمهور الحاضرين الأستاذ سعدون الجاسم وكيل وزارة الاعلام بكلمة مناسبة .



بدأ الندوة فضيلة الأستاذ محمد الغزالي فتكلم عن الفكرة القديمة التي كانت سائدة حول الجسم والروح قبل أن يظهر الإسلام بتعاليمه الهادية . وبين أن هناك صراعا قديما بين الجسم والروح وأن فكرة سادت في تلك الفترة أعلنت بأن كمال أحدهما لا يتم إلا على حساب الآخر وأن طلاب التسمي الروحي قديما كانوا يلجئون إلى رياضات عنيفة بدنية شاقة يكتبون فيها غرائزهم ويمسودون فيها أبدانهم كثيرا من المشتقات والصعاب ويعتقدون أنه لا سبيل إلى ادراك الصفاء النفسى إلا على انقراض بدن مهشم قد خذلته قواه وضعفت أركانه وذلك هو السبيل إلى صفاء النفس وزكاة الروح . كان الروح والبدن كفتا ميزان ما ترتفع أحدهما إلا على حساب انخفاض الأخرى كان ذلك قديما هو الفكر السائد . وربما احتضنه الهنود القدماء وكانت الرهينة الهندية والرياضات التي نجمت عنها عبارة عن واد البدن وإذلاله وتكليفه ما لا يطيق ، وتسلك هذه إلى المسيحية وكانت الرهينة ودعا إليها بعض الصوفية المتطرفين .

نظرة الإسلام :

آمن الإسلام بالروح والجسم معا ونظر للإنسان نظرة متكاملة فهو إنسان



أقامت جمعية الهلال الأحمر الكويتي ندوة عنوانها (الإنسان بين المادة والروح) وقد اشترك فيها وزير الأوقاف والشئون الإسلامية راشد الفرحان وفضيلة الشيخ محمد الغزالي مدير إدارة الدعوة بوزارة الأوقاف في جمهورية مصر العربية ، وحضرها عدد كبير من المواطنين . ويبدو في الصورة وزير الأوقاف والشئون الإسلامية وفضيلة الشيخ الغزالي أثناء الندوة .

بمقله وبدنه وأفكاره وغرائزه ، هو انسان كل لا يتجزأ وانه يجب أن ينظر اليه على أنه هذا الكيان المتكامل المتناسك .

وبالنسبة الى الجسم نظر الاسلام اليه نظرة فيها شيء من الإعجاب . قال الله تعالى : « يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم . الذي خلقك فسواك فعدلك . في أى صورة ما شاء ركبك » . ونظر الرسول صلى الله عليه وسلم الى هذا الجسم بإعجاب أيضا فيروى أصحاب السنن عنه أنه كان وهو ساجد يقول : « سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشفق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين » .

هذا الجسم ما ينبغي قط أن يهمل أو يضيع . فالآلة الميكانيكية التي تخدم الانسان يعطيها الانسان كثيرا من رعايته واهتمامه فكيف بهذا الجسم العجيب الذي خلقه الله سبحانه .

وموضوع الجسم وحاجة الانسان في حياته وأفعاله كلها أعمال مادية اهتم بها الاسلام كما اهتم بحياة الانسان الروحية . اهتم بالجسم والروح في الدنيا والآخرة ويتضح ذلك في دعوات المسلم عندما يسأل الله العفو والعافية ، العافية لبدنه والعفو لنفسه في الدين والدنيا والآخرة ويسأل الله الأمرين في المعاش والمعاد : « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة » . ونرى النبي صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول : « اللهم اني أعوذ بك من الكفر والفقر وأعوذ بك من عذاب القبر لا اله الا أنت » . قال العلماء استعاذ به من الكفر لأنه ضياع الآخرة واستعاذ به من الفقر لأنه ضياع الدنيا . والاسلام يهتم بالدنيا والآخرة على سواء . قال تعالى « وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا » . . . ونسمع في أدعية الرسول صلى الله عليه وسلم : « اللهم اني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيج وأعوذ بك من الخيانة فإنه بئس البطالة » . عندما استعاذ به من

الخيانة فانه يستعين به من الرذائل التي تستهلك دين المرء وتضيع ضسبيره وأخلاقه وعندما يستعذ به من الجوع فهو يستعذ به من الازمات التي تجعل الانسان ينطلق في الدنيا وليس له وقود يتحرك به وليس له ما يجعل الدنيا في عينيه ويجعلها ميدانا لأدام رسالته فيها .

واهتم بالجسم من ناحية النظافة وجعلها رمزا ودلالة على الايمان ، لهذا فرض الطهارة المستمرة لأطراف الانسان والمواضع التي تنشط فيها الافرازات عادة كما أوجب الاغتسال ، ولم يخص النظافة بجسم الانسان وحده بل ألزمه النظافة العامة وعدم مضايقة الآخرين برائحة غير كريمة . نرى ذلك في الاغتسال والتطهير عند الصلاة والتطيب عند دخول المساجد واتخاذ الزينة فيها . ولهذا قرر الفقهاء ان المريض في فمه الذي تظهر منه رائحة كريمة تستقط عنه صلاة الجماعة وتستقط عنه صلاة الجمعة فلو ان انسانا فيه مرض البخر أو أي مرض تؤذي الآخرين رائحته فان صلاة الجماعة والجمعة تستقطان عنه ، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على ان الاسلام يتجه الى النظافة العامة . واجمل من هذا اهتمام الاسلام بالزينة ، وغريب ان يهتم دين بزينة الانسان فقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا عليه ثياب رثة فقال له : ألك مال ؟ فقال نعم . من كل أنواع المال آتاني الله . قال : فليز هذا عليك ، ان الله يحب ان يرى أثر نعمته على عبده .

ورأى رجلا ثائر الرأس فقال :

« أما وجد هذا ما يسكن به رأسه » فلما سرح رأسه ورجله وطيبه قال صلى الله عليه وسلم « هذا خير من أن يجيء أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان » . والرسول كان جميلا ونظيفا وكان الناس اذا وجدوا رائحة كريمة في مكان قالوا لعل محمدا مر من هنا لأن الرائحة الطيبة كانت تتبعه حيث كان قد عرف بهذا .

سأله أحد الناس أحب أن تكون نعلی حسنة وثوبی حسنة أهذا من الكبر قال لا هذا جمال والله جميل يحب الجمال . ومن لطائف القرآن الكريم في هذا قوله تعالى : « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » كان زينة الحياة أصلا كانت للمؤمنين ولكن سمح أن يشركهم فيها الكافرون في الدنيا ثم ينفردوا بها في الآخرة دون الكفار .

وبعد أن بين فضيلة الشيخ مواضع الأخذ بالنظافة والطهارة والزينة من النصوص المشرعة في الإسلام من القرآن والسنة ، وأسهب في الندوة مع الشرح والإيضاح تناول جانباً آخر وهو مكانة المسلم في هذه الدنيا ، وكيف أن عليه أن يعيش مكرماً فيها قويا لا ذليلاً ضعيفاً يحيا على هامشها ؟؟ أن الإسلام دعا المسلم أن يعيش ملء هذه الدنيا .

وقد رد فضيلة المحاضر على بعض دعاة التدين الذين يذهبون الى أن الايمان لا يكمل وأن التقوى لا تتم إلا اذا كان الانسان غير ممكن من الدنيا أو بعيدا عن ثرائها وجاهاها أو محروما فيها ومن طبيائتها ، وضع الشيخ الغزالي لهؤلاء رأي الاسلام بالآية الكريمة التي تحدث الله تعالى بها عن يوسف عليه السلام بعد أن أسند إلى يوسف منصب تدبير المال :

« وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يتبوء منها حيث يشاء » ثم قال : « نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين » . هذا التمكن لا يقصد منه الا التمكن فى الحياة الدنيا وليس عن حياة الآخرة لقوله تعالى بعد ذلك مباشرة « نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين ، ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون » .

كما أوضح رأى الاسلام فى هذه الموجة الانسحابية التى انتشرت فى العالم الاسلامى وتشبعت بأفكار المتصوفين الحمقى المتطرفين وردد أقوال الأئمة المتصوفين الصالحين الفاضلين ، وروى أن رجلاً وضع يده على ملابس أبى الحسن الشاذلى صاحب الطريقة الصوفية المعروفة وقال له يا امام اهذا شوب يعبد الله فيه ؟ وكان ثوباً فاحراً فقال له الحسن :

توبى ينادى على بالغنى عن الناس أما ثوبك فينادى عليك بالفقر على الناس وقال له آخر :

انى اترك اثناء الماء فى الشمس حتى أشرب الماء ساخناً لأن نفسى تريد الماء بارداً وأنا أريد أن اكبت نفسى فقال له : انقل الماء من الشمس الى الظل فائك ان شربت الماء بارداً ثم حمدت الله انتزعست الحمد من أعماق قلبك . هذا اتجاه رجال الصوفية الأتقياء عندما كانوا مقهساء مثقفين مدركين لمعالم السم الشريعة التى ينتسبون اليها فلما جاء ناس بعد ذلك لا قدم لهم فى الفقه روجوا ، محبة الفقر بين الناس وأشاعوا نوعاً من البطالة فى الاسلام وجهلوا ان يتصوروا ان ديننا لا مال له لا ينتصر ، ويستحيل ان تكون لدين عداً جهاد وهو تغير ومحروم من القدرة المالية التى يعد بها سلاحه وجيشه وعلى ان يلقي الأعداء . وكان انسحاب هؤلاء من الحياة العامة سبباً فى شروخ كثيرة .

والاسلام حدد مكانة الانسان بين الروح والمادة ويتضح ذلك فى مواضع كثيرة اشار اليها كتاب الله وما يخص المال قال : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياماً » فالمال قيام الانسان ، ويقول فى وصف المال انه خير « وانه لحب الخير لشديد » ويقول سبحانه « كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيراً » كلمة خير هنا بمعنى المال . وقال الرسول صلى الله عليه وسلم لعمرو بن العاص بعد اسلامه وقد بعثه فى غزوة من الغزوات : « سابعك فى غزوة تغنم فيها وتسلم فمشمع عمرو وكان هذه الكلمة تنهم ايمانه فقال : يا رسول الله انا ما أسلمت طلباً لمال فقال له الرسول : يا عمرو نعم المال الصالح لل عبد الصالح .

وبعد ذلك تناول المحاضر ناحية أخرى انفرد فيها الاسلام عن الشرائع الأخرى وهى نظرة الاسلام الى الجنس . الجنس الذى اذله رجال الديانات السابقة بالرهينة والرياضات القاسية والتزمت ، جاء الاسلام وحده ولم يغفل عنها لأنها فطرة فطر الله الانسان عليها ومشاعر خلقها الله فى الانسان ، كما خلق الطعام ودله عليه بحدود معينة وعلمه الحلال منه والحرام وكيف يقدم عليه . وكما وفر له أى نعمة من نعم الله الأخرى وهداه اليها وجعل لها أنظمة وحدوداً تكتل له الهناء والسلام واحترام النفس وإكرامها . وتناول الشيخ الغزالي باجمال نظرة الدول الغربية للجنس وموقفها بين الرهينة والاباحة وعدم التزامهم بنظم اخلاقية معينة وكيف ولد عندهم الانتجار الاخلاقى والابتذال بالجنس بالطرق غير المألوفة وبطرق

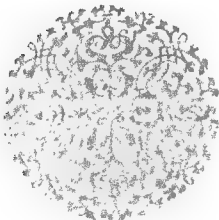
الحرام والضياع . أما الإسلام فكانت نظراته نظرة طبيعية بالنسبة للجنس .. ما قال الإسلام قط أن غريزة تولد في الإنسان وينمو كيانه عليها ويتصل وجوده بها يمكن أن تكون شراً أبداً ، نظر إليها كما نظر إلى المتع والنعم الأخرى إذا كانت من مصدر شريف ومن كسب حلال مع عفة وإدراك لموظيفة الإنسان في الأرض ، وقد ساق الله هذه النعمة وسط نعمه الكبرى التي تفضل بها على عباده « ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون » .

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » .

وكما اهتم بالسمو المادي اهتم بالسمو النفسي وكما اهتم بالطهارة الجسدية اهتم بالطهارة النفسية .

ومن حكم ابن عطاء السكندري الصولي : إذا مدحك أحد غانما مدح نعم الله عندك والفضل لمن منحك لا لمن مدحك .

والروحانية هنا ليست بالتجرد من الدنيا والجسد ، ولكنه غذاء فكري يجب على المسلم أن يهتم بعقله وبدنه وليس كالدابة التي تعيش لتأكل فقط بل الإنسان يأكل ليعيش وفي عيشه يطلب لجسمه وعقله معا .. وبعد ذلك تحدث بمعادة وزير الأوقاف الأستاذ راشد الفرخان في نفس الموضوع الإنسان بين المادة والروح . وموعدنا للحديث عن الجزء الآخر من الندوة العدد القادم .

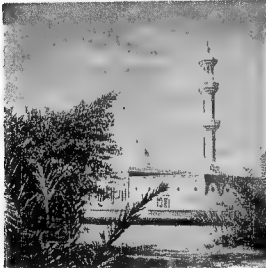


مسجد الكويت

مسجد الميلم

يقع مسجد الميلم الفخم الذي بناه على نفقته الخاصة الحاج محمد عبد العزيز الميلم على شارع الرياض أحد شوارع الكويت القسيحة وقد أسس هذا المسجد في ٤ ذى الحجة ١٢٨٧ (١٩٦٨/٣/٣ م) .

وتلفت الناظر الى المسجد هذه المئذنة السامقة التي تعبر بجلال عن تسامى القلوب المؤمنة الى السماء في شوق ومحبة وهي اعلى ماذن الكويت على الاطلاق وقد غطيت فتحاتها المستطيلة بالزجاج الاخضر حتى اذا اضيئت ليلا سطعت شعلة خضراء تحيط بها هالات وسط الظلام يراها الناظر من مسافات بعيدة .



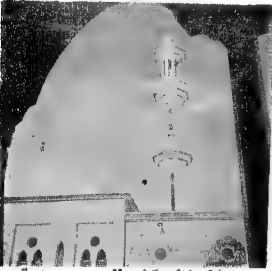
ويحيط بالمسجد سور له ابواب اربعة وقد بنى على احد جوانبه سبيل به مبرد كبير للماء للمارة والمصلين وحين تدخل السور فانك ترى خضرة العشب في شبه حديقة صغيرة صفت فيها مقاعد رخامية أعدت كي يجلس عليها من ينتظر فتح ابواب المسجد للصلاة .

والمسجد على الطراز العربي المزين بفنون النقش العربي ذي الاشكال الفنية الرائعة وفي داخل هذا السور مبنى لدورة المياه وهو مزود بالماء الساخن والبارد كما يضم غرفتين

منظر لمسجد الميلم من بعيد تحيط خصصتا لموظفي المسجد وبه كذلك به الاشجار .
مبرد للماء .

هندي رائع بحيث تعتبر مكتبة كبيرة
فاذا تقدمت على السجاد ذي اللون
الاخضر الهادئ الذي فرشت
ارض المسجد به وخطوت نحو
المحراب اخذت بلبك الاضواء غير
المباشرة التي تحيط بالمحراب وتوحى
لنفس بكل معاني الاجلال والرهبة
وخاصة عندما تنعكس هذه الاضواء
على حائط المحراب الذي غطى بطبقة
من المربعات الصغيرة ذات اللون
الذهبي ويحف بالمحراب شرفتان تطل
نافذة كل منهما على المصلين واليمين
منهما شرفة فسيحة يقف عليها خطيب
المسجد .

اما الشرفة الثانية فمباراة عن غرفة
صغيرة مزودة بتليفون وبكافة



وهذا منظر آخر للمسجد عن قرب

الاستعدادات اللازمة لنقل الاذاعة
والتلفزيون شعائر الصلاة والندوات
والحفلات الدينية فى المناسبات
المختلفة . وبلغت نفقات بناء المسجد
واحدا وسبعين الف دينار .

اما المسجد ذاته فانك ما تكاد تدخل
من احدى بواباته الثلاث الحديدية ذات
الزجاج الاخضر والقبضات النحاسية
حتى تظا اقدامك ارض الساحة الكبيرة
التي تنصدر المسجد وهى معدة
لاستيعاب المصلين عندما يزدهم
المسجد فى صلاة الجمعة والعيدى ،
وقد ظلت مساحة كبيرة من هذه
الساحة واقم سقفا على اعمدة
كسيت بالرخام الابيض وارضيتها من
الرخام الملون .

وعندما تدلف الى المسجد فانك
لا بد ستدهش برهه من الوقت امام
الفن الرائع الجمال ، فالمسجد
تعلوه قبة كبيرة تكاد تغطي ثلث
مساحة المسجد وقد اضيئت اضاءة
غير مرئية بالفلور الابيض (النيون)
تتدلى منها ثريا كبيرة تضيى على
المسجد ضوءا اخذا بجانب الضوء
الذى ينبعث من الثريات الكثيرة
المقاربة المتدلية من السقف .

اما الاعمدة الاربعة التى تقوم
عليها هذه القبة فهى من الرخام
الابيض وقد حفلت جدران المسجد
بفنون هندسية متناسقة وحفرت عليها
اللوحات القرآنية الجليلة والذهبة
بينما علقت لوحات اخرى بين
كل نافذة واخرى من نوافذ المسجد
الكثيرة ذات الطراز العربى المستطيل
والمصنوعة هى والابواب من خشب
الساج العظيم وفى جدران المسجد
خزانات مصنوعة من خشب الساج
وقد اعدت كخزائن للكتب فى وضع



القادياني والقاديانية

تأليف: أبو الحسن الندوي

عرض وتحليل: عبد المعطي بيومي

منذ أن ظهر القادياني ، والكتابات الإسلامية والعلماء المسلمون ،
فى ملاحظة دائمة له ، يكشفون أمره ويظهرون زيفه أمام الناس .

ومن أقدر الذين كتبوا عنه ، الشيخ أبو الحسن الندوي فى كتابه
« القاديانى والقاديانية » دراسة وتحليل ، الذى نشرته الدار السعودية .
وفى هذه الصفحات سنقف بالعرض والتحليل لكتاب الاستاذ الندوي ،
الذى وضعه — وهو الهندى — بأسلوب عربى ، سهل واضح العبارة ،
سليم المنهج .

وقد قسمه على أربعة أبواب : —

(١) عن الميرزا غلام أحمد

(٢) تطور فكرة القاديانية .

(٣) القاديانى فى الميزان .

(٤) القاديانية فى الميزان .

فالكتاب كما نرى يحتوى على جانبين :—

● جانب تاريخى يتضمن التحليل التاريخى المفصل والامين ، لحياة الميرزا غلام أحمد كما يتضمن رصد التطورات التى مرت بها فكرة القاديانية .

● جانب نقدى .. ويفسنه الشيخ أبو الحسن تقييما صحيحا يعتمد على وقائع التاريخ للقاديانى والقاديانية .

ومع أسلوبه المشرق ندلف الى الباب الاول من كتاب أبى الحسن ، وهذا الباب عن الشخصيات الاساسية وعصرها وبيئتها ، وهو ثلاثة فصول ..

نفى الفصل الاول : يجهل الكاتب حالة القرن التاسع عشر الميلادى ، وهو القرن الذى اشتد فيه عنف الصدام بين الحضارة المسيحية وحضارة الاسلام ، وفى هذا الصدام غلب العلماء المسلمون على القسيس وأبانوا حجج الاسلام ، لكن المسلمين لم ينجوا من القلق الذى صاحب هذا الصراع ، ومن الاستعمار الذى غذى هذا القلق بسيطرته حيث كانت الجولة للقوة لا للحجة .

وكانت البنجاب اكبر مواقع القلق فى هذا القرن ، الذى ما أوشك على الانتهاء حتى ظهر الميرزا غلام أحمد القاديانى .

فمن هو الميرزا غلام أحمد هذا ؟ ..

هذا ما يجيب عنه الفصل الثانى من الكتاب .

ويقول المؤلف فى هذا الفصل انه لا يعتمد فى نسب الميرزا غلام وعائلته غير مصادر الميرزا نفسه ، ومن هذه المصادر يتبين انه انحدر من أسرة هى من أخلص الاسر للانجليز ، ويقول الميرزا ذاته « لقد أقرت الحكومة بأن أسرتى فى مقدمة الاسر التى عسرفت فى الهند بالنصح والاخلاص للحكومة الانجليزية ... وقد قدم والدى فرقة مؤلفة من ٥٠ فارسا لمساعدة الحكومة الانجليزية فى ثورة عام ١٨٥٧ . وتلقى على ذلك رسائل شكر وتقدير من رجال الحكومة ، وكان أخى الاكبر « غلام قادر » بجوار الانجليز على جبهة من جبهات حرب الثورة » .

ولد الميرزا سنة ١٨٣٦ او ١٨٤٠ فى قاديان ، وتلقى بعض العلوم الدينية والفلسفية والادبية والطب ، ثم عمل موظفا صغيرا بمبلغ شهري قدره ١٥ روبية ، وكان أول أمره من قلة الفطنة بحيث لم يكن — كما يقول نجله الاوسط ميرزا بشير أحمد — يميز بين فردتى الحذاء اليمنى واليسرى حتى اضطر الى وضع علامة عليها بالحبر وكان يخطئ رغم ذلك . وكانت حياته مليئة بالطرائف . من ذلك :

● تحديه العالم بأنه قد أوحى اليه انه سيتزوج فتاة اسمها « محمدى بيكم » وان ذلك أمر إلهى لا مرد له ، ولكن الفتاة تزوجت شابا آخر وعاشا بعد وفاته أعواما طويلة .

● ومن ذلك أنه تخدى عام ١٩٠٧ العالم المشهور ثناء الله الامر تسرى بأن الكاذب المفترى من الرجلين سيموت قبل الآخر بالهزيمة أو الطاعون وفعلا مات الميرزا غلام نفسه قبل ثناء الله بأربعين عاما ومات — كما اعترف هو لصهره — بالهزيمة الوبائية سنة ١٩٠٨ وخلفه الحكيم نور الدين البهروى .

وفى الفصل الثالث يروى المؤلف قصة حياة هذا الحكيم نور الدين ، الذى يعتقد بعض الباحثين أنه صاحب الفكرة والتصميم فى الحركة القاديانية ، فيقول إن نور الدين ولد ١٨٤١ م فى بهيرة من مديرية شاه بور فى بنجاب ، وثابر على الدراسة حتى عمل طبيباً لامراً جمون ولكنه عزل ، وفيما كان فى جمون تعرف على الميرزا غلام أحمد ، الذى كان مقيماً حينئذ فى سيالكوت فلما ألف الميرزا كتابه « براهين احمديّة » ألف نور الدين « تصديق براهين احمديّة » وظلا معا حتى تولى خلافة الميرزا ست سنوات الى أن سقط من فرسه واعتقل لسانه قبل أيام من وفاته فى مارس ١٩١٤ وكان نور الدين يرفض التقليد أولاً الامر ثم دان لنزعة اخضاع القرآن والدين للعلوم الطبيعية ، وتاويل المعجزات والحقائق .

وبعد أن ينتهى المؤلف من بحث الظروف التى ولد فيها الميرزا وحياته وحياة رفيقه نور الدين ، ينتقل الى الباب الثانى عن تطور فكرة القاديانية فيقف فى الفصل الاول مع هذه الفكرة وهى فى دور التأليف والمناظرة ، وينصب بحث المؤلف فى هذا الفصل على كتاب « براهين احمديّة » .

ويعيد المؤلف هنا الى الاذهان أن العصر كان عصر مجادلة فى العقائد وهجوم على الاسلام ، ولذلك فان الميرزا نهض لاستغلال ذلك ، وأعلن على الناس عزمه على تأليف كتاب للدفاع عن الاسلام بثلاثمائة دليل ، وأنه تلقى الوحي بتأليفه ، وتحدى أن يأتى أحد بمثل هذا الكتاب ويثبت حجة دينه بالدلائل التى تكافئ دلائله فى هذا الكتاب أو تبلغ نصفها أو ثلثها أو ربعها أو خمسها ، والذى يقدم هذا الكتاب الذى يحكم له ثلاثة أحكام عادلون يقدم له عشرة آلاف روبية ، وطلب من المسلمين أن يتبرعوا بنشاط وحماسة لتكاليف طبع الكتاب العظيم الذى هو انتصار للاسلام .

وأخيراً تخضعت الدعاية الكبرى عن أربعة أجزاء فقط ظهر بها الكتاب واستمر يؤلف فيها أربع سنوات ١٨٨٠ — ١٨٨٤ وتوقف فلم يؤلف الجزء الخامس الا سنة ١٩٠٥ بعد أن توفى كثير من الذين اشتركوا فى الكتاب .

والكتاب ملئ بادعاء الالهامات المختلفة حتى لقد نزل عليه الهامان بالانجليزية .

ومن اظهر ما فى هذا الكتاب أنه يدعو المسلمين الى موادة الانجليز وتحريم جهادهم وضرورة الموالة لهم ، ثم هو لا يتضمن دليلاً واحداً كاملاً من الثلاثمائة التى وعد بها .

وينتقل المؤلف الى الفصل الثانى متعقباً تطور القاديانية من التأليف

والنشر والدعاية لنفسه ، الى دعواه انه المسيح الموعود ، وذلك على الرغم من انه اوضح فى كتابه انه لا حاجة للامسة الى وحى جديد ، ولقد كان ادعاؤه بانه المسيح اجابة لاقتراح اقترحه عليه رفيقه الحكيم نور الدين الذى راح يملئ عليه اوصاف المسيح ويحل معه المشكلات التى تعترضه فى هذا السبيل ، مثل حله لمشكلة احاديث نزول المسيح فى دمشق مع انه فى قاديان .

ولكن الميرزا غلام احمد لا يكتفى بادعاء انه يمثل المسيح بل ينتقل من ذلك — كما بين الفصل الثالث — الى ادعاء النبوة ذاتها ، وقد مهد لها كثيرا من قبل فى كتبه حتى اعلنها صريحة فى يوم جمعة سنة ١٩٠٠ عندما وقف الشيخ عبد الكريم — الرجل الثالث فى القاديانية بعد الميرزا والحكيم نور الدين — يقول للناس فى خطبة الجمعة إن الميرزا غلام احمد رسول من الله وأن من لا يؤمن به يفرق بين الرسل ويخالف قول الله تعالى « لا نفرق بين أحد من رسله » فلما تصايح الناس وعلا نقاش المنكرين مع الخطيب خرج الميرزا من بيته وهو يقول « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى » وكان يرى أن نبوته مستقلة يستطيع أن ينسخ زيف القرآن وأن من لم يتبعه كان كافرا وانه يجوز أن يكون فوق الانبياء جميعا وأن الله أوحى اليه « اسمع ولدى » « يحمدك الله من عرشه ويمشى اليك » ويذكر أن الله أراد مرة أن يوقع على صحيفة فنضح الحبر الآخر من القلم على قميص الميرزا .

والى هنا يكون الشيخ أبو الحسن الندوى قد انتهى من الجوانب التاريخية فى الكتاب حيث عرض كما رأينا — من مؤلفات القاديانية ذاتها — ومن مؤلفات الميرزا وابنه على وجه خاص — لينتقل بعد ذلك الى الجوانب النقدية .

وفى هذا الجانب يبدأ الباب الثالث عن القاديانى فى الميزان حيث يخصص الفصل الاول من حياة الميرزا ومعيشتة وعن التحول الكبير الذى جرى على هذه الحياة .

ظل خمسا وعشرين سنة فى شظف وخمول وضيق عيش ، اذا به يتحول الى بذخ باذخ وحياة مترفة لا تشبه فى شيء حياة الدعاة الحقيقيين الذين يشغلهم أمر الدعوة عن ترف الحياة وبذخها حتى لقد اعترض بعض اتباعه على ذلك التنبذير فى اموال المسلمين وليست امواله ، منهم الخواجة كمال الدين الذى قال « ان من الظلم المبين أن هذا المال الذى يكتسبه فقراء المسلمين بكذ اليمين وعرق الجبين ويشحون به على نفوسهم وبطونهم لينفق فى المصلحة الاجتماعية يضيع فى الشهوات والاعراض » .

ويذكر المؤلف أن هذا البذخ فى « قاديان » تفاقم بعد موت الميرزا

وانتقال الخلافة القاديانية الى ولده الميرزا بشير الدين ، حتى وصلت روايات هذا المجون الى ما يفوق الف ليلة وليلة وقد وصف هذه الحال الاستاذ عبد الرحمن المصرى الذى كان من كبار القاديانية بحيث كان يستخلفه الميرزا بشير فى الصلاة قال « ان الخليفة العالى الميرزا بشير الدين محمود من كبار الفساق انه يتصيد الفتيات فى ستر من الزعامة الدينية ، وله وكلاء وسامسة من الرجال والنساء يحضرون له الفتيات الغافلات والشباب الغر ، وقد أسس لهذا الغرض ناديا سريا من أعضائه الرجال والنساء يفسق ليه » .

وفى الفصل الثانى يقدم الشيخ أبو الحسن دليلا آخر على كذب القاديانى فى ادعائه بتواطئه مع الإنجليز الغزاة الذين قوضوا مملكة الاسلام فى الهند وقوضوا قواعد الاسلام ذاته ، واغنائيه بتحريم الجهاد وعزلته عن حركات التجديد فى العالم الإسلامى لدرجة وصفها الشاعر الفيلسوف الدكتور محمد اقبال فى قوله « انه — أى الميرزا — يعتقد ان بهاء الاسلام ومجده فى حياة العبودية وأن سعادة المسلمين فى أن لا يزالوا محكومين اذلاء انه كان يعد حكومة الأجانب رحمة إلهية لقد رقص الرجال حول الكنيسة ومضى لسبيله » .

ويقدم المؤلف دليلا ثالثا فى الفصل الثالث من هذا الباب على كذب القاديانى ببذاة القاديانى فى المناقشة وسلطنة لسانه واقتزاعه ، مع أن المقرر فى حياة الانبياء عفة اللسان وسلامة المنطق . عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس المؤمن بالطمعان ولا باللعان ولا بالفاحش ولا البذء » .

وكدليل رابع وطريف يعرض المؤلف نموذجا من التحديات التى تحدى عليها الميرزا ولم يتحقق كتحديه بزواج « محمدى بيكم » بقوله « ولقد الهمنى الله . . ويسئلونك أحق هو قتل أى ورى انه لحق وما أنتم بمعجزين زوجناكها لا مبدل لكلماتي وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ومع ذلك تزوجت الفتاة بشاب آخر كما قلنا وعاشا معا بعد وفاته بزمن .

وفى الباب الرابع والاخير الذى خصصه المؤلف للقاديانية فى الميزان ذكر فى الفصل الاول أن القاديانية ليست فرقة اسلامية وانما هى ديانة خاصة مستقلة وزائفة تماما عن الاسلام بل هى تراحم الاسلام فى شعائره ومقدساته فهى فرقة خارجة عن الاسلام خروجا كاملا ومن هنا كان اهتمام الهنادك وترحيبهم بها .

وليتها كانت ديانة خارجة عن الاسلام وكفى ، اذن لكانت اضرارها على متبعيها وحدهم بل هى ثورة على النبوة المحمدية ومناقسة كما بين المؤلف ذلك فى الفصل الثانى ثم هى تؤدى الى تفريق كلمة المسلمين وانهاء ارتباطهم بشخصية محمد صلى الله عليه وسلم ثم هى تفتح المجال للتنبؤات الكاذبة .

ويرى الشيخ أبو الحسن الندوى أن القاديانية التى يتزعمها الميرزا بشير الدين محمود صريحة فى ادعاء النبوة للميرزا غلام أحمد لكن الفرع

(البقية — ص ٩٥)



جلست ذات يوم أمام الكعبة المشرفة واثّر في نفسي منظر الذين يطوفون حولها ليل نهار ، لا ينقطع الا عند الصلاة والمصلون ملتفون حول الكعبة — قبلة المسلمين في مشارق الارض ومغاربها جاءوا من كل فج عميق . لا فرق بين سيد ومسود ، وابيض واسود ، ولا تمييز بين هذا وذاك بل الكل سواء — يجمعهم علم واحد هو علم الاسلام ، وتدور في مخيلتي الذكريات الخالدات من يوم أن أمر رب العباد خليله ابراهيم بالنداء الخالد الى يومنا هذا والى أن تقوم الساعة « واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير . ثم ليقتضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » وما زال هذا الطواف قائما وما يزال الله حافظا لبيته العتيق الى أن تقوم الساعة — وهذا المنظر يزداد روعة على مر الايام ونداء الخليل يتجدد بمرور الاعوام ، رغم مرور آلاف السنين ، ولم لا ؟ وهو امر الله على لسان نبيه الكريم — وای قوة تقف أمام قوة الخالق الذي يقول للشيء كن فيكون . وبينما انا هائم في هذه البحار من الذكريات — وهذه المناظر التي تاخذ بالالباب اذا بكل أخذ يتمم بلغة لا اكاد افهمها لم يكد يجد بجواری

للكبير محمد محمد أبو شوك
رئيس قسم الأمراض الباطنية
بالمستشفى الأميري
الكويت

دين اليسر والنظافة

فرجة من مكان حتى تهالك وجلس وهو لا يكاد يلتقط أنفاسه — وخفت على الرجل أن يلفظ نفسه الأخير وهو يستوى بجوارى — وتركته يستريح بعض الوقت حتى إذا أحسست منه أنه يمكنه أن يتجاذب مع أطراف الحديث أخذت القى عليه بعض الأسئلة وهو يجيب بصعوبة ، وفهمت في نهاية الأمر أنه قدم من بلاد بعيدة وقطع المسافة بين بلده إلى الحجاز فيها يقرب من ثلاثة أشهر سيرا على الأقدام ، وبمساعدة أهل الخير ، وكم تأسى الأمرين وكم اشتدت عليه الأمور ويعود فيقول (إن كل شيء بثوابه ولا بد لي أنى سأجازى أضعاف أضعاف من يأتى إلى هنا بطرق سهلة ولا يقاسى من سفره) .

وبينما أنا أستقبل المرضى في عرقات إذا بسيارة الاسعاف تحضر اثنين في أشد الإعياء — قىء وشبه غيبوبة وهذيان ، ما هذا ؟ أنهما وجدا وهما يصعدان جبل الرحمة من شدة الحر أثناء الظهيرة والحر على أشده ، لماذا ؟ ليكسبا أجرا عظيما — وتقبل حجتهما .

ثم هذه التي أتت من أقصى بلاد المسلمين وأفهمت أنه ليس أحسن للمرء من أن يذهب إلى الحجاز ويموت هناك في الأراض المقدسة ، كانت جلدا على عظم وتعانى من داء الصدر « الدرن » وكم قلت لنفسى ما ذنب هذه وهى تحتضر وما ذنب أمثالها من النساء وأمثالها من الرجال سمعوا

هذا النصح وجاءوا ليقاسوا هول السفر ويلقوا بأنفسهم الى التهلكة ويقدموا على هذه المخاطرة يحضرون ليموتوا فى الاراضى المقدسة . ثم أقول لنفسى كم من عدوى تنتشر أيام الحج من هؤلاء المرضى ومن حاملى ميكروب الامراض اخرى .

ومن عجب أنك تشاهد حاجا لا يعى ما يفعل ، وتنتابه نوبات جنون ويقوم بأعمال تضره وتضر بحجاج آخرين . بالله لماذا حضر هذا الى الاراضى المقدسة ، فتجد الرد لعله يشفى من المرض الذى ألم به وتحصل عليه البركات ويذهب عنه جنونه .

وصور اخرى تتراءى امام عيني وأفحصها — وارى العجب واحمد الله كيف وصل هؤلاء الحجاج الى الارض الطاهرة ، وقد لاقوا ما لاقوا من مشقة السفر ، هذا يعانى من هبوط فى القلب وذاك من ارتفاع شديد فى ضغط الدم ، وتلك من سمنة مفرطة اثرت على جميع مفاصلها وجعلتها قعيدة فى عقر دارها ، ثم هذا الذى يعانى من مرض صدرى مزمن لا يكاد ينتقل خطوات حتى يلهث من ضيق النفس ، وغير ذلك من صور لا تنتهى .

ثم امام كل هذه الصور أذكر النداء نداء الخليل « واذن فى الناس بالحج » وحديث المصطفى وهو يشرع ويضع العهد الخمسة للاسلام « بنى الاسلام على خمس ، شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا » ومن الاستطاعة استطاعة المال واستطاعة الصحة وتحمل مشقة السفر ، فمن كان مريضا أو ضعيفا بسبب كبر سنه أو شيخوخته ولا يمكنه أن يتحمل السفر عد من الذين لا يستطيعون . ثم ما هذا التشنج فى الدين وديننا يسر ، وما شاد الدين أحد الا غلبه ، فالحج عن المتاعب ، والاجهاد وتسلق الجبال فى أشد أوقات الحر والسير المسافات الطويلة لارهاق الجسم ، وتعذيب البن بشتى الوسائل ، وعدم الاكل والمبيت فى الخارج فى شدة البرد القارس ، كلها ضارة بالجسم ، وحاشا لدينا أن يأمرنا بهذا أو يقبل منا ذلك ، وكان رسولنا الكريم يختار من الشئ أينسره ..

فأنى لهؤلاء بهذه الاعمال التى يقومون بها ، وأرجو من القائمين على الاسلام فى شتى البلاد الاسلامية أن يوقفوا فى اقناع حجاجهم فى أن يحافظوا على أبدانهم اثناء السفر — لا أن يعرضوها للأخطار طمعا فى الغفران ، وأن يأخذوا من الامور يسرها وديننا الذى يحث دائما على النظافة فى قوله تعالى « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » وقوله « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد » والقول المأثور « النظافة من الايمان » كلها دفع قوى الى حيث تكون النظافة فى اللبس والمآكل والمشرب .

ففى اللبس انه والله ليسىء الى المسلم والاسلام أن يرتدى الحاج ملابس مزقا أو تملوه الاوساخ غيائف منه من يراه أو يجلس بجواره ،

ويتحاشاه القريب والبعيد ، ووالله ما كان اللباس القذر رمزا للتقشف كما يدعى بعض الناس ، فديننا دين نظافة ، وأما ما دون ذلك فمقد دخل على الاسلام لتشيويه سمعته والنيل منه .

والنظافة فى الماكل يجب أن تكون رائد كل حاج فلا يأكل الا كل نظيف فكم من حاج تعرض للتسمم الغذائى لاكله طعاما غير صحى ويا حبذا لو تخير من الطعام اطيبه — وأسهله هضمًا ويكون فاكهة تغسل غسلا جيدا ويتحاشا ملء معدته فيسلم من الارتباكات المعدية والمعوية اثناء الحج والذى يعانى منها الكثيرون .

ويجب أن تذبح الضحية فى مكان الذبح لا أن ينحرها بجوار مسكنه ، فتجر عليه من الامراض والروائح الكريهة ما لا يحسد عقباه وتكون سببا فى تفشى الامراض المعدية التى طالما تكثر زمن الحج لهذا السبب .

والنظافة فى الشرب وعدم تلوث الماء من واجب كل حاج حفظا على صحته وصحة الحجيج — فليس من الاسلام أن يحمل الماء او يوضع فى اوان فذرة ، ويدعى ساقيتها أنها بركة ولا تضر — ويأخذها الحاج بعد ذلك فى اوان غير مضمونة النظافة ، ويحملها مسافات طويلة الى بلده يهدى منها الاصحاب والاحباب ..

ثم يجر دور النصيحة لنشر الوعى الصحى بين الحجاج ولكى يحافظ الحاج على صحته يجب أن يتبع القوانين الصحية فيطعم ضد الامراض السارية وهى الجدرى والكوليرا قبل سفره ثم انه اذا كان مريضا لا بد وأن يستمر فى علاجه والا تعرض لمضاعفات المرض الذى يعانى منه .

ثم ليدفع كل حاج زميله بالتي هى احسن لئيتعد عن كل ما يسئ الى صحته وصحة الحجيج . فلا يغالى فى أن يشق على نفسه وعلى أصحابه مقتنعا اياهم بحسن الثواب وزيادة الجزاء . فكم رأيت من الحجاج المسنين يتبعون أناسا يحثونهم على تعرضهم للمشاق ، بل وللهلكة لكى يكون حجهم مبرورا وذنبهم مغفورا .

وما بالناس ونحن فى زمن العلم والتقدم لا نطبق ذلك فى ايام الحج فنجد البعض يضربون بالقوانين الصحية عرض الحائط ، ولا رادع يردعهم ولا وازع يمنعهم من أن يقوموا بهذه الاعمال التى تسئ الى سمعة الحج الصحية — فترى بعض الناس يرمون بالاوساخ بجوار مكان سكنهم ، ويبصقون ويتبرزون أنى وجدوا الى ذلك سبيلا غير مقيد بالامكان المختصة لذلك . ثم هؤلاء الذين يتكدسون فى حجرات ضيقة ليساعدوا على انتشار العدوى فيما بينهم .

ثم من لى هؤلاء الذين يدعون الطب ويعالجون الناس بالوصفات التى تكون فى بعض الاحوال ضارة ، او يهون المرض على حاج ويحول دونه والذهاب الى الطبيب أو المستشفى للعلاج .
ثم هؤلاء المرضى من الجاليات الاسلامية المختلفة الذين يترددون على

العيادات والمستشفيات ، ولا يمكنهم أن يفصحوا عما بهم ، ويبقى الطبيب في حيرة من امره وأمرهم . ويا حبذا لو كان معهم دليل يعرف لغة كل جالية ويعرف العربية حتى يتسنى علاجهم على الوجه الاكمل .

وكم تمنيت تكاثف جميع الحجاج من كل بلاد المسلمين على جعلهم الحج في المكان الاسمى الذى يليق به ، سواء في ذلك الناحية الروحية والناحية الصحية — والثقافية — ويتناول وجهات النظر ، وما يدور في البلاد الاسلامية من أحداث والمساهمة في كل اصلاح . بذلك نكون قد قمنا ببعض واجبنا نحو هذا الركن الاسلامى المتين — ونكون قد جنينا بعض ثماره ، والتي من الممكن أن تتكاثر وتتكاثر بمرور السنين ويعم نفعها على المسلمين في أنحاء العالم . وبذلك نكون قد ربطنا أجزاء هذا العالم الاسلامى المشتت بجهود كل المسلمين وبازدياد وعيهم في كل مجالات الحياة ونعيد للاسلام مجده ، ولا ندع الفرصة لمن يتقولون عليه ويفترون ، من انه دين التأخر وهو والله دين التقدم والعلم والازدهار ، وسيبقى نوره ساطعا يزهو بتفهمنا له والرجوع اليه — « كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون الا كذبا » . « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون » ..

هذه بعض خواطر وصور تتراءى امام ناظرى وأنا في بيت الله الحرام — أرجو من كل مسلم غيور على دينه أن يراها ، وأتمنى لكل الشعوب والحكومات الاسلامية أن تضعها نصب أعين حجاجها حتى تقوم بهذا الركن المتين خير قيام .



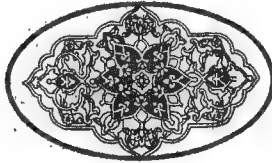
اللاهورى من القاديانية الذى يتزعمه محمد على صاحب ترجمة القرآن، اخبث واشد تعقيدا لانها تلقت الميرزا أحمد بهجد القرن الرابع عشر ومع ذلك تعتقد انه المسيح الموعود وتلحد فى التأويل وتحرف تفسير القرآن عن مواضعه ويعرض المؤلف نماذج من هذا التفسير مثل تفسيره « غالطوا حبالهم وعصيتهم » بأنهم لم يلقوا حبالا ولا عصيا بل انهم بذلوا غاية ما أمكنهم من حيل .

ويقول المؤلف ان هذا الفرع بالذات لجأ الى الدعاية الكاذبة والتهريج بانها عملت على اسلام العدد الكبير من المسيحيين ولكن ذلك لم يحدث الا فى القليل النادر حينما استغفلت هذه الجمعية اسلام بعض الناس ومنهم المرضى والعجزة .

وفى الفصل الرابع والاخير يودعنا المؤلف بكلية عامة عن حاجة الاسلام حينئذ الى المصلح والمجدد الذى يقيم ما أعوج من اخلاق الامة واعتقادها وعلومها فجاء الميرزا غلام أحمد ليضيف أزمة الى أزمتها واعوجاجا فوق اعوجاج .

وهكذا ينتهى كتاب الشيخ أبى الحسن الندوى ويبدو فيه أن المؤلف ركز فيه البحث على إبطال فكرة النبوة لميرزا غلام أحمد القاديانى وكان المؤلف بارعا حقا وواضح العبارة فى هذا الغرض وان كنت أرى أن القارئ كان ينتظر المبادئ التى دعا اليها النبى المزعوم مع ما دعا اليه من تحريم الجهاد ، وأن كان عذر المؤلف على ما يبدو أنه هدم الاساس الذى تقوم عليه تلك المبادئ وهو ادعاء النبوة واذا بطل ادعاء النبوة بطل ما بنى على هذا الادعاء من آراء .

حسب المؤلف انه قدم للقارئ العربى المسلم هذه الفكرة الواضحة عن القاديانية معتمدا على المصادر القاديانية ذاتها .



قصة إسلامية

الأستاذ محمد الطيف

للمسلمين ان ذهبوا الى هذه البلاد منذ ثلاث سنوات فاتحين، واستطاعوا ان ينشروا الأمن في رقعة كبيرة منها .. ولكن الفرس تجمعوا بعد ان اشتدت الفرقة بينهم ، ونبذوا خلافتهم التي جعلتهم شيعا وأحزابا .. واختاروا التساب « يزجرد » الرجل الوحيد الباقي من سلالة « كسرى أبرويز » ليجلس على عرش اجداده ، يقودهم فيمثلون ، ويأمرهم فيطيعون ويوجههم فلا يختلف اثنان في الطريق الذي رسمه لهم .. ذلك حتى يثاروا لكرامتهم من المسلمين الذين فتحوا بلادهم ، ودخلوا اليها بدين بهر الناس فتركوا دياناتهم اليه ، وأظهروا على أرضها بسالة أذهلت قلوب الشجعان فخطموا الأسطورة القديمة عن دولة الفرس التي لا تقهر كما يحطمون الآن الأسطورة القديمة عن دولة الروم التي لا تنهزم ، وقد كان العالم

لم تكن من أجل الغنائم والمكاسب المادية تلك الحرب الضروس التي خاضها المسلمون على أرض فارس ، والتي انتهت فيها دولة الأكاسرة الى غير رجعة ، فقد ذهب المؤمنون بدين الله الحق الى هذه البلاد ، وفي قلوبهم يقين بان هذه الحرب هي الفاصلة بالنسبة لهم وللعقيدة التي آمنوا بها خيرا وسعادة للبشرية جمعاء .. إذا انتصر الفرس دالت دولة الاسلام ولن تقوم لها قائمة ، وإذا انتصروا هم فقد حطموا ملك الأكاسرة الجبابرة الى الأبد ، ومكنوا لصوت التوحيد من ان يرتفع عاليا فوق ايوان كسرى الذي بهر العالم بفخامته وابهته ..

عمر بن الخطاب أمير المؤمنين يعرف الدولة يعرف لهذه الواقعة قدرها وما ينبغي ان يكون عليه الاستعداد لخوضها ، فقد سبق

سواركسرى

المعارك ضراوة واستبسالا ..
ومع الأمر لجيش الايمان باتخاذ
طريقه الى بلاد فارس أصدر أمير
المؤمنين أمرا بالتعبئة العامة في سائر
الدولة الإسلامية يحشد للمعركة
كل القوى التي تساعد وتدعمها
ويدعو كل قادر الى المشاركة فيها بما
يملك ، ويحمل الأمر تكليفا الى عماله
بالتنفيذ فوراً وبلا ابطاء ..

انطلقت رسل أمير المؤمنين من
المدينة الى كل الامارات
والقبائل في الدولة تحمل الى
المستولين فيها كتبه ، وفي كل منها
عبارة موجزة واضحة صريحة تقول:
« لا تدعو أحدا له سلاح أو فارس
أو نجدة أو رأى الا انتخبتموه ثم
وجهتموه الى .. والعجل العجل » .
حتى الذين عرفوا بحسن النظر
ودقة الرأى وصواب الحكم ممن
يعيشون بعيدا عن المدينة ومقر الأمير

قسمة بينهما يختلفان عليه ويتفان .
عندما ترامت الأنباء الى عمر بهذا
الاستعداد ، وان مناوشات الفرس
للمسلمين هناك بدأت من جديد لم
يتردد في الاذن بمسير الجيش
الاسلامى مرة أخرى الى فارس تحت
أمره القائد العظيم « سعد بن أبى
وقاص » ..

* * *

جيش الايمان المذهب لتأديب
الفرس لا يزيد عدده على أربعة آلاف
فقط .. سيواجه هناك جيشا فارسيا
مدربا على كل فنون القتال يزيد عدده
على مائة وعشرين الفا بين راجل
وفارس ، تتقدمهم مجموعة كبيرة من
راكبي الأفيال المدربة على القتال ..
والأفيال في جيوش الفرس قوة كبرى
ضاربة لا يفوتها النصر في أقصى

دخلوا في هذا الأمر الهام والعظيم
بالتعبئة العامة للمعركة الحاسمة
الفاصلة ..

وقبل أن يصل جيش الآلاف الأربعة
إلى القادسية حيث الوقعة المرتقبة
كانت الإمداد قد بلغت من كل أطراف
الدولة الإسلامية حتى بلغ عدده ستة
وثلاثين ألفا ..

ومهما كان هذا العدد من الشجعان
الصناديد والفرسان المغاوير فإن
قوتهم المادية تتضاءل كثيرا أمام قوة
جيش الفرس بقيادة « رستم » عظيم
جندهم وصانع انتصاراتهم على أمم
كثيرة استذلها الفرس ، وحكموا فيها ،
وسلبوا خيراتها ..

لكن المقياس المادي وإن كان له
اعتبار عند جيش المسلمين إلا أنه لم
يكن العامل الحاسم في سائر حروبهم ،
فكل المارك التي خاضوها من قبل
كان المقياس المادي فيها يرجح
الميزان لصالح أعدائهم ، مع ذلك
فالنسبة كانت دائما في جانب المؤمنين
ذلك لأنهم يحملون في قلوبهم إيمانا
يحاربون به ، وعقيدة سادت كل
تصرفاتهم ، فهانت أمامهم الشدائد ،
وتبددت الحن ، وأقبلوا على الموت
راضين ، فكتب الله لهم الحياة ،
وأيدهم بنصره .

* * *

انفتاح على الحقيقة الكبرى في
دين التوحيد والعدالة هو الذي صنع
هذا الإيمان ، ورحلة طويلة من
المعاناة والآيات مع النبي مكنت له
من نفوس المؤمنين وقلوبهم .

لقد آمنوا بالنصر في كل معركة
خاضوها لأنهم آمنوا بأن قوتهم المادية
إن استطع وحدها تحقيق النصر ،
وبأن الله من وراء الاستعداد المؤمن ،
وهم لم ينسوا يوم أن اغتروا بقوتهم
وعدهم في معارك واجهوا فيها الكفار

فلقنهم صانع النصر دروسا يذكرونها
ويعتبرون بنتائجها ..

ولقد سبقتهم بسنوات طويلة
آمالهم العظيمة إلى فتح بلاد فارس
والسيطرة عليها ونشر دين الله على
أرضها .. وتحولت هذه الآمال إلى
إيمان يفرض إرادة لن تقهر ، وليس
دونها شيء إلا الموت :

فهم يذكرون جيدا أن النبي حينما
هاجر من مكة إلى المدينة ، وتعقبه
سرا في الطريق « سراقه بن مالك »
ليعود برأسه إلى كفار مكة — وما
حدث لسراقه في وقت المواجهة
وفرسه يركب به على الأرض ثلاث
مرات ويوشك أن يقتله ، ثم يطلب
المغو من النبي والأمان .. ويرى
النبي بقاء أحساسه مستقبل الإيمان
في وجه سراقه ، فيقول له : « يا
سراقه ، كيف بك إذا تسورت
بسواري كسرى .. » ويحسبها
سراقه وقتن دعابة ثقيلة من النبي
أو سخيرة .. لكنهم آمنوا بأن هذا
وعد من الله لنبيه بفتح بلاد كسرى ..
ويذكر المؤمنون كذلك وهم في
طريقهم إلى تاديي فارس حينما
اشتدت عليهم الحال في غزوة الخندق
والعدو من فوقهم ومن أسفل منهم ،
وابصارهم زائفة ، وقلوبهم تكاد
تخرج من أفواههم — يذكرون أن النبي
وعدهم وهم يحفرون الخندق أن الله
سيفتح عليهم بلاد الفرس وبلاد الروم
ولم يؤثر في عزيمتهم أنهم أصبحوا من
الموت بمقدار رمية سهم ، بل آمنوا
بأن الله سينصرهم على الرغم من
هذه المحنة القاسية التي تأخذ عليهم
كل طريق ، وما ظن واحد من المؤمنين
أن وعد الله لهم بفتح بلاد الفرس
وبلاد الروم كان تنجيما أو دعابة ،
وإنما هو وعد من الله لرسوله ،
فرسول الله لا ينطق عن الهوى ...
ونصرهم الله يومئذ بالمرء الشديد

والريح العاتية ، وصرف عنهم اعداءهم ..

ويذكرون وهم في طريقهم الى القادسية غير ذلك الكثير والكثير مما يقوى ايمانهم بالنصر ، ويؤكد في نفوسهم ان الله محقق لهم وعده . ليست هذه احلام يظلة تساور هؤلاء الجنود وهم في طريقهم الى تاديب فارس ، وهي لم تساور خليفة المسلمين في المدينة وجه الجيش لهذه المهمة فقد اعد الجميع انفسهم للقاء العدو ..

الخليفة في المدينة يعيش معارك جنده يوما بيوم .. يبعثون اليه بالانبياء ، ويبعث اليهم بالاسداد والرجال .. ويقيم العدل بين اهليهم حتى لا يشغل احد منهم على قومه العدو بشبهة ظلم تقع على قومه وذويه ..

والناس جميعا في المدينة وكل اقطار الدولة يعيشون حياة المعركة .. ليس بينهم مترف استبدت به انانيته ، او صاحب مال حبسه عن اغراض الجهاد ، او مالك ابل او خيل لا يستاقها للمقاتلين يكررون بها على اعداء الله ..

وما كان الخليفة الذي بعثهم الى هذه المعركة الضارية العاتية القاسية ليسمح بترف او رفاة او نعيم ، يعيش فيه البعيدون عن صليل السيوف ، وصهيل الخيول ، ودماء الشهداء تسيل زكية طاهرة على ارض المعركة دفاعا عن ايجاد الاسلام .. وهو القدوة بين الناس جميعا ..

الجنود الذاهبون يعلمون ذلك حق العلم ، ويعلمون ان الخليفة شديد في الحكم ، لا تاخذه في الحق لومة لائم .. لا يحابي ، ولا يتهاون ، ولا يفرط ، ولا يضعف ..

ولا تزال في اذانهم اصداؤه قوله عقب ان بايعوه خليفة : « انما مثل

العرب مثل جبل اتف اتبع قائده ، فليظن قائده .. حيث يقوده .. اما انا غوب الكعبة لاحملهم على الطريق .. » ..

وليس بعيدا عن اذهانهم كلام آخر طيب ورقيق قاله للمقاتلين وهو يوجههم الى المارك : « ولكم على ايها الناس خصال اذكرها لكم فخذوني بها : » ..

« لكم على الا اجتبى شيئا من خراجكم ولا ما افاء الله عليكم الا من وجهه .. ولكم على اذا وقع في يدي الا يخرج مني الا في حقه .. »

« ولكم على ان ازيد عطاياكم وارزاقكم ان شاء الله تعالى ، واسد ثغوركم .. »

« ولكم على الا الميكم في المهالك ، ولا اجهركم في ثغوركم .. »
« واذا غبت في البعث فانا ايسو الميال .. » ..

والخليفة لا يرد على احد عصيانا او تمردا ، فهم يطيعون الله ورسوله فيما يوجه اليهم من امر او يسدى من نصح .. لم يخرج فرد منهم على امر له ، ولم يتمرد في اجماع لاهل الراي والثسوري ..

الدولة كلها كانها رجل واحد .. ليس فيها مظلوم او ظالم ، وليس فيها صاحب حق ضاع منه دون ان يرده عليه خليفة رسول الله ، وينتقم له ممن تسبب في حبس هذا الحق عنه ..

كل الناس في الدولة سواسية كاسنان المشط ، لا فضل لاحدهم على آخر ينسب او ثراء او قرابة من صاحب السلطة .. وانما الجميع امام كتاب الله وسنة رسوله واجتماع الامة سواء ..

تقوى الله واداء الواجب هما اساس التمييز والتفضيل والتقديم .. من هذا الاسلوب الفاضل في

الحياة كان من حق المسلمين أن يفكروا في غزو الفرس مرة ثانية ، وكان من حقهم أيضا أن يطعموا في الانتصار على هذه الدولة القويبة العاتية المتجبرة التي تملك السلاح الكثير يزلزلون الجبال الرواسي ..

* * *

على مشارف القادسية صف (سعد ابن أبي وقاص) جنوده وعياهم ، وأقبلت عليه الأعداد من كل أمارات الدولة الإسلامية .. وأوصاهم ، وأمر الخطباء والشمراء بأن يتحدثوا فيهم ، وأن يشحذوا همهم ، وينكسروهم بالأيام العظيمة التي خاضوها من قبل وانتصروا فيها على أعداء الله ، وأنهم اليوم أمام عدو جسور ، لن ينتصروا عليه بالعدد أو بالسلاح ، وإنما بالآيمان الذي يملأ قلوبهم ويتقوى الله التي تشد سواعدهم وهم يتدافعون على العدو ويضربون رقابه ..

وتقدم أصحاب رسول الله والذين جاهدوا معه صفوف الكتائب المؤمنة . وعبر اليهم جيش «رستم» نهر بجلة ، وصف عسكره وجنده ، وجعل في المقدمة القوة الضاربة الكبرى من الفيلة المدربة على القتال الشديد العاتى الذى لا رحمة فيه ..

وهدد عظيم حند فارسي وتوعد : ما هي الا جولة واحدة حتى ادخلكم ايها الاعراب تحت رمال القادسية ، وارسل الى دياركم من يزيل دولتكم هناك ، ويحكم فيكم ويفضى .. لكن هذه التهمة المحكمة وما تجشأ به «رستم» من تهديد ووعيد لم يصف من غزيرة المسلمين .. ودارت المعركة حامية قاسية وشديدة .. بالنهار قتال ، وبالليل قتال ، وتدافع الرجال المصفون من هنا وهناك حتى مرت اوقات لم يكن

راصد المعركة يعرف فيها من المتنصر ومن المنهزم من الفريقين ..

حقيقة أن الفرس أشداء أقوياء .. كثير عددهم .. كثير سلاحهم .. والفيلة تؤدي مهمتها .. و «رستم» عظيم الجند وقائدهم في كامل قوته ونشاطه ، يدير المعركة ويوجهها ويامر بالكر والعدو والضرب ، بينما امير حند المسلمين «سعد بن أبي وقاص» قد دهمه فجأة مرض شديد أرقده فوق منصة يشرف منها على المعركة ، ويصدر اوامره مع أهات الألم وأنين التوجع ، وهزال الجسد الطليل .. لكن جيش الايمان صمد في اليوم الاول صمودا باهرا ..

وفي اليوم الثاني كمر على العدو ، فكتشف صفوه .. واختفت الفيلة من المعركة لأن جيش الايمان فعل بها آخر نهار الأمل ما عطلها عن الاشتراك في جولة اليوم .. واستمر القتال بأسلا عظيما حتى منتصف الليل ..

وفي اليوم الثالث جميع الفرس صفوخهم ، واستماتوا قتالا ودفاعا ، وظهروا من البسالة والشجاعة ما يشهد لهم بأنهم مقاتلون أكفاء .. الا أن المسلمين كانوا أكثر بسالة وشجاعة وكفاءة .. لكن ذلك لم يمنع من أن تكون الحرب سجالا بين الفريقين في هذا اليوم ، حتى أن تقييم المعركة التي هدأت آخر الليل لم يستطع أن يسجل الفيلة لاهد الفريقين على الآخر .

وكان لا بد من يوم رابع على أرض القادسية يقاتل فيه الفريقان .

والمسلمون على الرغم مما وقع بينهم احسوا بنصر الله في قلوبهم ونفوسهم .. وخاضوا قتال هذا اليوم وأمامهم خيار بين امرين لا ثالث لهما : إما أن ينتصروا على العدو ، أو يموتوا شهداء المعقيدة والحق ..

لم يفسوا امرا وجهه « عمير ابن الخطاب » من المدينة الى « سعد بن ابي وقاص » قبل بداية المعركة يقول فيه : « ان منحك الله اديارهم فسلا تفرع عنهم حتى تقحم عليهم « المدائن » فانه خرابها ان شاء الله » ..



لا بد قبل ذلك من جولة ثانية فسي سواد العراق ، هذا الذي تبرد اهله على حكم المسلمين بعد ان اقاموا العدل بينهم عقب الفتح الاول منذ ثلاثة اعوام .. ولا بد من مطاردة الفلول التي فرت من القادسية الى بابل وإلى سائر مدن السواد ، لاعادة الحياة في هذه المنطقة ايمانا وامنا وسلاما ورخاء ..

وتم للمسلمين ما ارادوا من ذلك كله ..

بقى حصن واحد هو الطريق الى المدائن ، وان كان يفصله عنها نهر دجلة .. انه « بهرسير » ذات الأسوار العالية المنيعة ، وقد تجمعت داخلها حامية قوية من جيش فارس وعلى رأسها عدد غير قليل من خيرة قواده ..

حاصر « سعد » المدينة قرابة عام ونصف عام يضرب أسوارها بالمنجنيق وله في كل يوم مع حاميتها القوية مناوشات ..

وتطير أبناء هذا الحصار مع كل مساء الى « يزجرد » كسرى فارس ، ويوقن ان المدينة ذات الأسوار المنيعة ستقع حتما في ايدي المسلمين طال الحصار او قصر ، فامر حاميتها ان تخرج بليبل لتتحصن بالمدائن ، وتراجع عنها حين يعبر المسلمون اليها ..

ويستولى المسلمون على « بهرسير » بعد ان فر جندها ..

ولم يكد ينتصف النهار حتى نصر الله جنده ..

تفرقت صفوف الفرس من شدة ضرب المسلمين فيهم ..

اعى الله بصائر الفرس حتى صار بعضهم يضرب بعضا ..

عند فرار الفرس الى الضفة الأخرى من نهر دجلة تعظم من تحت ارجلهم الجسر الذي يعبرون عليه فتدافعوا الى النهر فغرق فيه نحو ثلاثين الفا ..

ومن قبل كل ذلك كان واحد من المسلمين قد انقض على « رستم » عظيم جند فارس ، وقتله بسيفه وهو يوشك ان يهرب ، ثم استولى على مقر قيادته ..

وسجل التاريخ هذه الايام الاربعة بلوصافها لتظل اعلاما مرفوعة خفاقة في دنيا الجهاد والقتال دفاعا عن الحق والعقيدة .. وغنم المسلمون من مخلفات المعركة اموالا كثيرة لم تكن تخطر لهم على بال ، او يدركها تصورهم ..

لكنهم لم يقلوا الى هذه البلاد من اجل الغنائم والاموال يجمعونها بعد جولة او جولات .. انما جاءوا لهدف آخر ، هو تاديب دولة طففت وتجبرت واعتدت ، ونقضت الامن والامن ، وتطلعت الى سابق عهدها لتستغل الشعوب وتحكم فيها بما يشاء لها الهوى ..

وهم وان كانوا قد فرحوا بما حققوا على ارض القادسية فرحة خفت مرض قائدهم « سعد بن ابي وقاص » فامامهم مهمة اكبر من هذه المهمة ، هي ان يعبروا دجلة الى « المدائن » العاصمة الجديدة لبلاد فارس ، ووارثة مجد بابل القديم ، ومقر « يزجرد » كسرى الفرس الجديد ، فان المدائن اذا اتهارت فقد انهيار ملك فارس الى غير رجعة .. وهم

وتبدو امامهم « المدائن » يكسل عظمتها وجمالها على الشاطئ الثاني من « بجلة » نهر العراق المتدفق ..



كيف للمسلمين ان يعبروا النهر الى « المدائن » !!!
جسر العبور احرقته حاميتها « بهرسير » بعد ان نجت بحياتها في قرار الليل ..
وسفن الفرس التي كانت تطفو على ماء النهر قريبا من « بهرسير » قد ذهبوا بها بعيدا حيث لا يدركها المسلمون ولا يتمكنون من العبور فوقها الى الضفة الاخرى .. ويبقى النهر بين الفريقين يمثل خط دفاع طبيعي عن مجد فارس في شمال العراق بعد ان هبطت ارجلهم في الجنوب ..

وماء النهر في وقت فيضان .. تيار سريع دافق يلطم الشاطئين .. وأعماق بجلة تهدد بالابتلاع كل من تسول له نفسه عبور النهر بمغامرة جنونية ..

وفلول جند فارس تجمعوا على الضفة الاخرى يهددون بالرمي اية محاولة بانسنة للعبور ، بعد ان افاقوا من الهزيمة المتكررة ..

على الرغم من كل هذه العوائق لم يكن امام جيش الايمان خيار عن العبور ، فايوان كسرى الحديد الذي بناه اجداده من مائة عام يرتفع شاهقا على الضفة الاخرى يخلب الابصار بهاء ، وروعة ، وفن بناء ، وصناعة زخرفة وتشبيد .. ونفوس الجند تهفو الى اقامة صلاة لله بين اعمدته الراسية المعلقة ، وان يرتفع من فوق سقفه صوت المنادى للصلاة مع وقت كل فريضة : « الله اكبر » « الله اكبر .. »

واختار المسلمون مكانا من النهر ضاقت المسافة فيه بين الشاطئين ، والعمق فيه لا يسمح للباء بان يغطى فارسا يعبر النهر سباحا بجواده ..

وأعلن القائد (السعد بن ابي وقاص) نداء بين جنده الى عبور كتيبة تحمي الشاطئ من الناحية الاخرى ليامن بقية الجند العبور ، فاعلنوا جميعا الاجابة للنداء .. واختار القائد ستمائة من اهل النجدة على راسهم « عاصم بن عور » الملقب بذى الباس .. وتقدم « ذو الباس » كتيبته الى لجة النهر يعبره سباحا بفرسه ، ودعا في اول الامر ستين جنديا ان يعبروا معه ..

كان الفرس على الشاطئ الآخر يرقبون والدهشة تكاد تخرج عيونهم من حلقها ، ونفوسهم تحدثهم : انس هؤلاء الذين يعبرون ام هن .. ليكنوا كما يشاؤون انسا او جنا ، فلجة النهر مقبرتهم لا محالة .. وتقدموا الى الشاطئ يرمون بنبالهم وسهامهم الجند العابرين ..

ودارت المعركة بين جند وسط الماء لا يستطيعون الحركة ، او توجيه خيلهم هنا وهناك ، وبين جند آخرين يحاربون من فوق ارض صلبة تصدو خيلهم كما يريدون ، وناتى لهم الامداد كما يشاؤون ..

ويلهم الله قائد هذه الكتيبة الفدائية وسيلة النصر ، فيصدر امره من لجة النهر الى جنوده العابرين ليصوبوا رماحهم الى عيون خيول الفرس ويضربوا ..

وانطلقت رماح المسلمين الى عيون خيل الفرس في تصويب دقيق تخترقها فتطير منها الشرر ، فتعدو على غير هدى ، وترمي فرسانها على الارض ، وتدوسهم باقدامها ..

وتختل صفوف اعداء الله على الشاطئ الذي حسبوه امنا وسلاما ..

اتى مؤمنا يحارب فى سبيل الله ،
ويقاتل فى معركة ايقن انها الفاصلة
بين الكفر والايمان ..

اربعة احماس هذه الفئات قسمت
عدلا بين المقاتلين — كما تقضى شريعة
الاسلام فى غنائم الحروب — لكل
بقدر ما بذل من جهد ونضال ...
وارتفعت بين الحند روح الايثار واخذ
كل منهم يسند شرف القتال الضارى
الاكبر الى زميله فى الجيش لينال حظا
من الغنائم اكثر منه واغلى ثمنا ...
فاصاب كل منهم ما يماثل اثنى عشر
الفا ..

وبمثل هذه الروح العالية تركوا من
انصبتهم غنائم نفيسة لتتوسل مع
الخبس الباقي الى المدينة .
وحمل هذا النصيب الى المدينة ،
وفى مجلس عمر بن الخطاب خليفة
المسلمين وضعته القوافل مع آخر
انباء النصر ..

هذا تاج كسرى مرصعا بالماس
والياقوت والزمرد ..

وجواهره وحليه التى كان يترزين
بها فى مناسبات الدولة واعيادها ..
وثيابه من الديباج المنسوج بالذهب
تزينها أنقى الجواهر واخلصها ..
وخزائنه ، ووشاحه ، وسيفه ،
ودروع ..

وسيف ودروع الملووك وكبار
القواد من جميع الدول التى حاربها
الفرس وانصروا عليهم وكلها
مرصعة بالجواهر مخلاة بالذهب : ملء
عبيتين كبيرتين خيما من نادر اسلحة
القبصرة وهرقل ، والنعمان بن
المنذر ، وخاقان الترك ، وملووك
آخرين .. شىء كثير يرتفع على
الوصف ..

وبساط الاكاسرة الكبير .. طوله
ستون ذراعا وعرضه ستون مثلا ،
وهو غاية فى الروعة والجمال ...
قطعة واحدة من أغلى القطيف ،

وتعبر بقية الكتيبة سبعا بالخيول .
ويتفقد « ذو الياص » جنده غلا
يفيب عنه واحد منهم ، او يرى فيه
أصاية من نبل او رماح فارسية ..
ويكبر « سعد بن أبى وقاص » فى
جيش الايمان على الشاطئ فيتدافع
ابطاله بخيولهم الى النهر يعبرون
ويكبرون ، تطفى اصوات تكبيرهم
على كل صياح الفرس وهم يغرون
من « المداثن » ..

وتبت المجزة !!
ودانت للمسلمين مدينة كسرى !!
وصدق الله وعده لرسوله
وللمؤمنين ..

وارتفع نداء التوحيد من هضوب
الايوان الخفيف ..



اخذ المسلمون يحصون غنائمهم من
قصر الاكاسرة وسائر القصور التى
كانت ملكا للجبابرة العتاة .. حوت
هذه القصور من التحف والنفائس ما
لم يكن يخطر للعرب على بال ،
وتجمعت فيها فنون الفارسيين وفنون
الشعوب التى حاربوها وهزموها ،
وسلبوا من خيراتها الشىء الكثير ..
بين يدي « سعد بن أبى وقاص »

القائد المظفر وضع جند الاسلام
الغنائم والحلى والامتعة ونفائس
الانبياء مما حوت خزائن الاكاسرة
وعظماء الفارسيين الذين تركوها من
خلفهم او غروا يحملونها فى الركب
المنهزم لكبيرهم « يزجرد » ..

كان جندى حمل ما ظفر به والمناه
فى اكوام امام قائد جيش الايمان
المنتصر .. لم يختص اهدم نفسه
بشئ .. ولم يختلس جوهرة ولا
سلحا ، ولا تحفة ، ولا اناء ، ولا ثوبا ،
ولا طعاما .. فليس من اجل شىء من
هذا المتاع جاء يحارب ويقاتل ، وانما

صورت فيه طرق مملكة فارس ، وبدت
في أرضها مذهبة تجري خلالها صور
الأنهار مرصعة بالدر ، وحافضه
كالأرض المزروعة استطل فيها نبات
الربيع على سوق من ذهب ، تلكت
منه أوراق من الحرير بينها الثمر من
الجواهر ..

وهذه صناديق كثيرة وسلال فيها
التحف ، والأواني ، والتمائيل ،
واللطائف من الذهب والفضة المزدانة
بالجواهر الثمينة ، وثياب من الحرير
والدمقس ، مطرزة بخيوط الذهب
والفضة ، ومرصعة بالؤلؤ
والمرجان ..

وغير ذلك كثير وكثير مما لم تر
عيون العرب مثله نفاسة وغنا وقيمة
غالية ..

استعرض أمير المؤمنين هذه
الغنائم وهو يغرزها صنوفا وأنواعا .
ثم بكت عيناه !!

فخانتهم جوابه : أن الله يبتلى الناس
فخانتهم جوابه : أن الله يبتلى الناس
بالخير الكثير ماذا يفعلون به وفيما
ينفقونه .. ولقد أبتنى فرحتي بنصر
الله وبإمانته الجند فإن قوما باعوا
لله أنفسهم وأدوا هذا كله لأمناء
مؤمنون ..

ويرد سامعوه : يا أمير المؤمنين ..
الناس على دين ملوكهم .. وقد
ضربت للمسلمين المثل بأمانتك وعفتك
وزهدك فسارت رعيتك على دربك ..

* * *

وشاهد عمر تدافع الناس ليسروا
ثياب كسرى وما في زينتها من عجب ،
فامر بان يحمل اليه فرع شجرة طويل
غليظ ، فغرسه في الأرض والبسه
هذه الثياب ليراها كل الناس :
وبينما الناس يتخرجون رأى عمر

ابن الخطاب رجلا بدينا جسيما ينفوس
في الثياب وقد أنبسطت أساور وجهه
.. ويمرغه عمر فيدعوه اليه .. أنه
«سراقة بن مالك» ..

وبعد عمر يرتدى سراقة ثياب
كسرى .. ويقول عمر وهو يلبسه
الثياب : هذا قميص كسرى ياسراقة ،
وهذه سراويله ، وذاك قبأه ،
ومنطقته ، ونعل قدميه ، وتاجه ..
البس يا سراقة بن مالك ؟ ..

واكتملت الثياب على جسد سراقة ،
فقال له عمر : ادبر يا سراقة ، فادبر
.. ثم قال له : اقبل يا سراقة ، فاقبل
.. ثم قال عمر : «بخ بخ ، اعرابى
من بنى مدحج عليه قبساء كسرى
وسراويله وسيفه ومنطقته وتاجه
وخفاه ! .. رب يوم يا سراقة بن مالك
لو كان عليك فيه هذا من متاع كسرى
وآل كسرى كان ثراها لك ولقومك !»
وبجيب سراقة : والله يا أمير
المؤمنين ما أحسست بعد لهذه الثياب

كلها بالفرجة ، فاني انكر أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لى يوم
تعقبته من مكة وهو في طريقه مهاجرا
الى المدينة وبعد أن فشلت مؤامرة
الكفر ضده : «يا سراقة .. كيف بك

إذا تسورت بسوارى كسرى» ..
ثياب كسرى فوق جسدى .. ولكن
أين السواران .. ترى يا أمير المؤمنين
أنهما غابا من متاع كسرى ! ..
ويتفقد عمر السوارين بين الجواهر
والحلي وهو يقول : صدق رسول الله
.. فيجدهما ..

ويتהל وجه عمر .. ويتهل وجه
سراقة ..
ويكبر المسلمون الحاضرون ، وهم
يرون سوارى كسرى في يدى اعرابى
فقير ..

* * *

المفتاوى

الحج عن الغير

هل يجوز الانابة فى الحج الفرض والنفل ؟

الاجابة :

قد انعمت الاجماع على أنه لا يجوز لمن قدر بنفسه على الحج المفروض أن ينيب عنه غيره فى أدائه ، بل يجب عليه أن يؤدي بنفسه ولو أحج عنه غيره لا يسقط عنه الفرض لاستطاعته الحج وقت الانابة ، فكان تركه الحج بنفسه إثارة للراحة لنفسه على أمر ربه ، وهو بهذا يستحق العقاب ، بخلاف الحج النفل فإنه تقبل فيه الانابة ولو مع القدرة لأن باب النفل أوسع خلافا للشافعى ، وعن أحمد فيه روايتان .

أما من عجز عن أداء الحج بنفسه بعد القدرة عليه لمرض أو حبس ونحوهما فقد رخص الله تعالى له أن ينيب عنه غيره ، أو ينوب عنه غيره فى أدائه وهو مذهب الحنفية والجمهور ، فإذا أدى النائب الحج سقط الفرض عن المحجوج عنه فى ظاهر الرواية وهو مختار الإمام السرخسى ومحققى المتأخرين ويشهد له ما رواه أحمد والنسائى من « أن امرأة جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ان مريضة الله فى الحج أدركت أبى شيخا كبيرا لا يستطيع أن يثبت على الراحلة أفأحج عنه ؟ قال : أرايت لو كان على أبيك دين أكننت قاضيته ؟ قالت : نعم ، قال : فدين الله أحق أن يقضى » وبما رواه الجماعة عن ابن عباس قال : « جاءت امرأة من خثعم عام حجة الوداع فقالت : يا رسول الله ان مريضة الله على عباده فى الحج أدركت أبى شيخا كبيرا لا يستطيع أن يستوى على الراحلة فهل يقضى عنه أن أحج عنه ؟ قال : نعم » ففى الحديثين دليل على جواز الحج من الولد نيابة عن أبيه إذا كان ميتا من قدرته على الحج المفروض بنفسه . وقوله عليه الصلاة والسلام : نعم . معناه حجى عنه أى قضاء عنه ، فأفاد أن الحج يقع عن المحجوج عنه ، وظاهر أن هذا الحكم لا يختص بالختمية ولا بحج الولد عن والده لأن الأصل عدم الخصوص فى بيان الاحكام ولم يوجد ما يدل على التخصيص .

ويشترط لجواز النيابة عن العاجز فى الحج المفروض دوام العجز الى الموت ، لأن الحج فريضة العمر فيجب أن يستوعب العجز بقية العمر ليقع به اليأس عن الأداء بالبدن ، فإذا أحج عنه غيره فى حال قيام العذر فإن استمر العذر حتى مات ظهر أن الحج وقع مجزيا عنه لتحقيق شرط الرخصة ، وإن زال العذر ظهر أن الحج لم يقع مجزيا عنه لانتهاء شرط الرخصة ووجب اعادته بنفسه . وأفاد

الكمال فى (الفتح) انه لا فرق فى لزوم الاعادة بزوال العذر بين ما يرجى من الاعذار زواله كالمرض والحبس وما لا يرجى كالمسى والزمانة . وفصل آخرون عن الغير أن تكون نفقة المأمور من مال الأمر وهى ما يحتاج اليه فى الحج من طعام من فقهاء الحنفية فأجوبوا الاعادة فى الاول دون الثانى ، ويشترط لجواز النيابة وشراب وثياب احرام وركوب حسب المتعارف وأن ينوى النائب الحج عن الأمر . والافضل عندنا أن يكون النائب قد أدى حجة الاسلام عن نفسه اذا تحقق وجوبها عليه ، ومن هذا يعلم انه يجوز للسائل أن ينيب عنه غيره فى الحج عنه ويقوم ببلغته وينوى الغير الحج عنه .

حج المرأة

هل يجوز سفر المرأة الى الحج بدون زوج أو محرم ؟

الإجابة :

ان الأئمة قد اختلفوا فى اشتراط الزوج أو المحرم فى السفر البعيد فذهب الحنفية الى انه يشترط فى سفر المرأة الى الحج شابة كانت أم عجوزا أن تكون مع زوج أو محرم بالغين عاقلين مأمونين ، فان لم يوجد لها زوج ولا محرم لا يجب عليها الحج ، لأنها تعد غير مستطيمة ، ولا يجوز لها هذا السفر ، والمحرم هو من لا يجوز له زواجها على المتأيد بسبب قرابة أو مصاهرة أو رضاع ، والسفر البعيد هنا ما كانت مسافته بالسير المعتاد ثلاثة أيام ولياليها ، وقيل يوما واحدا ، ولا عبرة بالسفر الآن بالطائرة ، بل المعتبر شرعا تقدير المسافة بالسير المعتاد . وذهب الشافعية الى انه لا يجب الحج على المرأة اذا لم تكن مع زوج أو محرم أو نسوة ثقات ، فإذا وجد أى واحد من هذه الثلاثة لزمها الحج ، وأن لم تجد شيئا منها لم يجب عليها الحج - وهذا فى حج الفريضة . أما الحج النفسى فالصحيح عندهم انه لا يجوز الا مع الزوج أو المحرم لعدم الضرورة فيه .

ونقل الشوكانى عن الامام أحمد انه لا يجب الحج على المرأة اذا لم تجد محرما ومثله الزوج وأن اشتراط المحرم أو الزوج فى الحج مذهب آل البيت وأبى حنيفة والشافعى فى أحد قوليه . ونقل عن مالك وأحمد فى رواية أخرى انه لا يشترط الزوج أو المحرم فى سفر الفريضة ، ورجح ابن حزم فى المحلى عدم وجوب الزوج أو المحرم فى سفر الحج ، فإذا لم تجد واحدا منهما تحج ولا شيء عليها . وقد فرق بعض الفقهاء بين الشابة والعجوز فاشتراط وجود الزوج أو المحرم مع الشابة دون العجوز ، والجمهور على عدم الفرق بينهما .

الوعى الإسلامي

بربر

كسوة الكعبة

تكسى الكعبة كل عام بالثياب الفاخرة ، وتطرز هذه الكسوة بالقصب وتزين ببعض الآيات المناسبة من القرآن الكريم ، ولباب الكعبة ستارة من الحرير الموشى تعتبر آية فى الجمال والروعة ، فهل لهذه الكسوة أصل فى الإسلام .

عبد الرحمن على - مصر

كان الناس على عهد الجاهلية يكسون الكعبة تمظيما لبيت الله ، حتى جاء الإسلام فآقر كسوتها ، فقد ذكر الواقدي بن اسماعيل بن ابراهيم بن ابي حبيبة عن ابيه قال - كسى البيت فى الجاهلية بالانطاع - وهو جمع نطع وهو ما يفرش على الأرض كاللبساط ويصنع من الجلد الأحمر - ثم كساه رسول الله صلى الله عليه وسلم القباب اليمانية وكساه عمر وعثمان (القباطى) جمع قبطيه وهو الثوب من ثياب مصر رقيق أبيض ، ثم كساه الحجاج الديباج - الحرير .

وروى أن أول من كساه الحيمرى وهو (تبع) .

وأخرج الواقدي عن اسحاق بن ابي عبيد بن ابي جعفر محمد بن على قال :

كان الناس يهدون الى الكعبة كسوة ويهدون اليها البدن عليها الجبرات فيبعث بالحرير الى البيت كسوة . وأخرج سعيد بن منصور أن عمر رضى الله عنه كان ينزع ثياب الكعبة فى كل سنة فيقسمها على الحجاج فيستظلون بها على السر بمكة .

فكسوة البيت بفاخر الثياب سنة متبعة من قديم الزمان أقرها الإسلام وقام بها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابه والمسلمون بعده وهناك أوقاف فى كثير من البلاد الإسلامية وقفها المسلمون الخيرون على الكعبة المشرفة والبيت الكريم موضع تكريم المسلمين واعظامهم على توالى المصنوع وتطيه وتجره بالمواد عمل مشروع فقد روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت طيبوا البيت فإن ذلك من تطهيره وطيب ابن الزبير جوف الكعبة كله ، وكان يجمر الكعبة كل يوم برطل من العود ويجمرها كل جمعة برطلين .

ثواب من يدفن بالمدينة

يحرص بعض المسلمين ويتمنى على الله عز وجل أن يوافيه أجله في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يدفن فيها ، وأن الزائر للمدينة يرى كثيرا ممن تقدم بهم السن من مسلمي العالم مقبون فيها انتظارا للأجل فهل لهذه البقعة الطبية خصوصية تمتاز بها على غيرها ، وهل لهذه العادة من اصل ؟
على هيئة - لبنان

المدينة المنورة على ساكنها افضل الصلاة والسلام قبة الاسلام ودار الايمان ، وقد دعا لها رسول الله بالبركة واخبر بان الايمان يارز اليها ، وكفى انها مشوى رسول الله وصاحبيه وامهات المؤمنين والشهداء والصالحين ، وفي جيرة هؤلاء خير واى خير والموت فى المدينة كان امنية امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وقد حقق الله له امنيته فقد روى البخارى عن زيد بن اسامة عن ابيه ان عمر قال - اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك واجعل موتى فى حرم رسولك صلى الله عليه وسلم .

وروى الطبراني باسناد حسن عن امرأة كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثقيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال - من استطاع منكم ان يموت بالمدينة فانه من مات بها كنت له شهيدا او شفيعا يوم القيامة .
ج. النصف - الكويت

المزاومة على الحجر الأسود

نلاحظ اثناء الطواف بالكعبة ان كثيرا من الطائفين يتزاحمون على تقبيل الحجر الأسود ، ويتدافعون بشدة ، وبين الطائفين المريض والمسن والمرأة ، فهل اذا طاف الانسان ولم يقبل الحجر ينقص ذلك من ثوابه ؟ محمد نيه - وادبوني

تقبيل الحجر الأسود عند بدء الطواف مع التكبير والتهليل ورفع اليدين ووضعهما عليه سنة ان امكن ذلك فى يسر وسهولة وعدم اذى ، فان لم يتمكن الطائف من تقبيله واستلامه لشدة الزحام مثلا يكفي ان يشير اليه من اقرب مكان يكون فيه .

وقد ورد فى تقبيل الحجر احاديث كثيرة قال ابن عمر استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجر ، واستلمه ووضع شفتيه بيكى طويلا ، فاذا عمر بيكى طويلا ، فقال يا عمر هنا تسكب العبرات - رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد .

وعن ابن عباس ان عمر اكب على الركن فقال - انى لاعلم انك حجر ، ولو لم أر حبیبى صلى الله عليه وسلم قبلك واستلمك ما استلمتك ولا قبلتك .
ويروى عن ابي الطفيل قال - رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت ، ويستلم بمحجن معه ويقبل المحجن .

ولا بأس فى المزاومة على الحجر بشرط ألا يكون فى ذلك اذى لاحد ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر - يا ابا خصي انك رجل قوى فلا تزاحم على الركن فانك تؤذى الضعيف ، ولكن اذا وجدت خلوة فاستلم والا فكبر وامض .

بأقلام القراء

أسمى المراتب

من رسالة للاستاذ معهد العربي الخطابي

الذي يؤمن إيمان المجاز ، فلا يكلّف نفسه مشقة التأمل والفكر واستكناه الحقيقة يجد راحة النفس ، ويخلد الى الدعة ، وينام تروير العين ولسان حاله يقول : اللهم إني أومن بك إيماناً أسمى !

أما الذي يريد أن يؤمن إيمان أصحاب اليقين فإنه يلازمه القلق ويصيبه الأرق من غرط الحضور والتدبر وتقليب النظر . وهو لا يفتأ يدعو : اللهم أرني آيتك حتى يستقر إيماني على قرار مكين !

خاطب الحق سبحانه نبيه قائلاً : « ماذا فرغت غانصب . وإلى ربك فارغب » عند فراغك الى نفسك بالمبادأة — وهذا جهد روحي — فالنصب ، اذن ، شرط أي اذا فرغت من سعيك في تبليغ رسالة ربك — وهو جهد بدني وعقلي — فالنصب اذن شرط ملازم للعبادة المؤدية الى اليقين الذي لا سكينه بدونه .

الطريق الى الله دربان : درب يسير فيه السائح مفتوح المينين لا يرى أبعد مما يقع عليه بصره . ودرب يسلكه المسالك وهو مفتوح القلب حاضر الوجدان فهو لا يفتأ يصيح السمع ويرهف الحس ، يذهب به الاستفراق أبعد مسدء فيخترق الحجب وتكتشف له أسرار الطريق .

من الناس من يعبد الله عن طاعة أصلها الخوف والطمع ، ومنهم من يعبد الله حباً في وجهه الكريم .

ومن الناس من يتوجه الى الله بالدعاء يسأله العافية وسعة الرزق ، وكثرة الولد ، وطول العمر ، وأقالمة العثرات . فهو دائها يسأل المزيد وقلها يعطى من ذاته ونفسه . يصيبه الهلع في الضراء والبطر والجزع في السراء .

ومنهم من يتوجه الى الله بذاته وقلبه وسائر جوارحه ، يتقدم بين يديه كل شيء ، لا يشتكى ولا يجزع ، ولا يلح ولا يسرف في السؤال ، وإن هو طلب ممن الله لله .

أسمى مراتب الإيمان .. المحبة ، وخير المحبة ما كان في صالح الجسامة قولاً وعملاً . ولا محبة الا مع السمي والعمل وبسذل الجهود واجتماع الكلمة ، بذلك ، مع الإيثار ، من وسائل التقرب الى الله ، والحصول على مرضاته .

دعاء

رب ، يا من خلقتنا بنفوسنا ، وكسرت شوكتنا بما جنته يميننا ونبذتنا في
 العراء لأفراطنا وتغريظنا .
 رب ، يا من نسيناك وقت طفيلنا ، وندعوك عند ضمغنا وانحجارنا ، امنحنا
 القدرة على تحمل عواقب أسرافنا .
 وامنحنا الصبر على تجرع مرارة انهزامنا .
 واصفح عنا حتى نكون جديرين بطلب النصر منك .
 والهمنا الهدى حتى نسير في السبيل التي رسمتها لنا
 والشباب لنحافظ على الأرض الطيبة التي وهبتها لنا .
 ولنسترجع ما ضيعناه منها .
 رب ، يا من كانت نعمتك حقا علينا ، ارزقنا القوة وحب العدل والحرية
 وسواء القصد .
 امنحنا العلم والعمل به ، والرزق وحسن التصرف .
 امنحنا التكاثر واجتماع الصف .
 واهزم ، يا رب ، من ظلمنا وعادانا وظاهر على اخراجنا من ديارنا
 واغراننا بالمصيان والتنازع والفرقة .
 يا رب آمين !

مكتبة

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

تعلن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية عن
 انتقال مكتبتها العامة إلى مقرها الجديد
 بأول شارع فلسطين بجوار دار القرآن الكريم

يسر المكتبة

أن تستقبل المراجعين والباحثين



قالت صحف العالم

شبهات الماديين

من مقال بهذا العنوان تقول مجلة (التربية الاسلامية) :

من مناقشتك للماديين أو قراءة كتاباتهم تراهم يتجججون بنزل هذه العبارات :
إذا كان الله موجودا فلماذا لا نراه ؟ اننا لا نرى الله ، إذن هو غير موجود . ان كل شيء لا نراه بأعيننا أو نلمسه بأيدينا أو نحسه بأحدى حواسنا الخمس هو وهم من الأوهام .

وما أشبه ما يقول هؤلاء بما قال اليهود لنبيهم موسى عليه السلام :
— (وأذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى ترى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون) البقرة ٥٥

فلا عجب أن يتغلب على اليهود طبيعهم المادى فيصنعوا عجلا من ذهب ويعبدوه ، ولا عجب كذلك أن يتصل الماديون باليهود على مدار التاريخ بأكثر من سبب .

ان هؤلاء الماديين قد نسوا — أو تناسوا — حقيقة مهمة وهى ان عسدم رؤية الشيء أو عدم تمكن احدى الحواس الخمس من الاحساس بوجود شيء معين لا يعنى أبدا عدم وجود ذلك الشيء ، وانما يعنى فقط عجز تلك الحواس عن الاحساس .

ان عدم رؤية الاعمى لضوء الشمس لا يجعل له الحق فى أن يمارى فى وجودها . ان كثيرا من الاشياء ، حتى فى عالمنا المادى لا تعرف بذاتها وانما بآثارها ، وكثيرة هى الاشياء التى دلت عليها آثارها .

ان هؤلاء الماديين يقولون انهم لا يؤمنون الا بما أدركته حواسهم فكيفهم واقمهم المادى ، فهم يؤمنون بأشياء كثيرة لم يدركوها بحواسهم وانما عرفوها من آثارها . اننا نسألهم عن اقرب الاشياء اليهم .. عن الحياة ، من رأى منهم الحياة ؟ ما الحياة ، ما شكلها ، ما حجمها ؟ ما وزنها ؟ ما طعمها ؟ ما لونها ؟ هل ينكرون وجودها ، أم انهم يتعرفون عليها بآثارها .. — الحركة — الحس — النمو — التنفس — التكاثر .. الى غير ذلك من مميزات الحياة ..

كذلك نسألهم عن الجاذبية الأرضية ، هل رأوها ؟ كيف أذن عرفوها ان لم يكن بآثارها ؟

ونسألهم عن المغناطيسية ، من رآها وأحس بها ؟ انهم عرفوها من جذب الحديد ، ولكن هل ان جذب الحديد هى المغناطيسية ، أو هو اثر من آثارها ؟ ان الأجواء المحيطة بنا مليئة بالامواج الكهرومغناطيسية ، فهل يشمر بهما منا أحد ؟ فهل يحق لنا لعدم احساسنا بوجودها أن ننكر هذا الوجود ؟ وماذا نعمل حين يأتى البعض بجهاز ترانزستور صغير يحول لنا بعض هذه الامواج الى اصوات مسموعة ؟!

ان حواسنا قاصرة وعاجزة ، ولناخذ مثلا على ذلك حاسة البصر ، ان المين الجردة لا ترى الا في حدود معينة ، فهي لا ترى في الظلام ولا ترى الصغير جدا ولا البعيد جدا ، ولا تستطيع ان تفرق الجدر والحواجز لترى ما وراءها ، فانت لو سألك ماذا يوجد وراء هذا الجدار ، وهو منك جد قريب لقلت عسلى الفور : انى لا ارى ما وراءه ، ولا تقول : لا يوجد شيء .

البكتريا كائنات حية صغيرة جدا فهي لا ترى بالمين الجردة وانما تسرى بالمجهر ، والفايروس مخلوقات اصغر من البكتريا بكثير ، فهي لا ترى بالمجهر العادى وانما ترى بالمجهر الاليكترونى ، وهذه الكائنات لها دور مهم فى حياة البشر وفى حياة الحيوان والنبات .

والانسان لم يكن يراها ولا يشمر بوجودها قبل اختراع المجاهر على اختلاف انواعها ، فهل لم يكن لهذه الكائنات وجود قبل اختراع هذه الآلات ، لمجرد ان الانسان لم يكن يراها ؟

من من الماديين رأى الذرة ، فضلا عن بروتوناتها واليكتروناتها . . والذرة لا ترى بأقوى المجاهر ، اذ هي من الصغر بحيث اننا لو وضعنا مائة مليون ذرة جنباً الى جنب لبلغ طولها بوصة واحدة فقط ، فلماذا يؤمن الماديون بوجود الذرة وهم لم يروها ولن يروها ؟ !

الشريعة الإسلامية هي أساس الحكم

نشرت صحيفة اخبار العالم الاسلامى السعودية ما ياتى :

اتخذت ليبيا الشريعة الإسلامية مصدرا أساسيا للقوانين ، هذه الخطوة لها مغزاهما العميق الرائع في سير الأحداث التي تتابع على منطقتنا العربية .

لقد أعلنت جمهورية مصر ومن قبل جمهورية اليمن أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الأساسي الذي سيقوم عليه تقنين القوانين في مصر ، واليمن . بعد ان ثبت أن الأمة العربية المتمسكة بدينها وبأصالة تاريخها لن تتخلى عن قيمها وتراثها ، فخطوة جمهورية ليبيا اليوم وإعلانها بجعل الشريعة الإسلامية هي الأساس الأول الذي تسن بموجبه كافة القوانين المدنية ، التي يحتاج اليها سير الحياة اليومية في القطر الليبي ، هذه الخطوة تؤكد من جديد تصميم الشعوب العربية على تمسكها بدينها وإصرارها على رفض كل ما يخالف هذه الشريعة أو يمس بحقوقها وواجباتها .

وأيضا كان اللواء النميري رئيس جمهورية السودان قد أعلن قبل فترة بأن شعب السودان شعب مسلم حريص على تقاليده ومعتقداته ، وأن دستور السودان المقبل سيكون مبنيا وقائما على عقيدة هذا الشعب . فالاسلام هذا الدين العظيم الذي أعطى الأمة العربية أمجادها ، وبعث فيها العزة والكرامة ، وصان مقدساتها ، وحفظ أصالتها ، هذا الدين العظيم جدير بهذه الأمة أن تكون وفية لبادئها ، حريصة على تعاليمه منفذة لأوامره . . ساعية ما بلغها المسمى في سبيل تحقيق أهدافه وتطبيق تعاليمه على حياتها اليومية في كل مجالاتها ، وتطبيق تعاليمه على حياتها اليومية في كل مجالاتها ، حيث أنه يملك العطاء الكامل لمنح هذه الأمة من جديد عزتها المهدورة وكرامتها المسلوقة ، ومجدها الضائع اذا هي عادت اليه معترزة بتعاليمه ، متمسكة بأهدافه .

نسأل الله سبحانه أن يعيد الى أممنا الإسلامية اعتزازها بدينها ، ونصرها على أعدائها .

الجبل العليم الاسلامي



اعداد الاسفاد : ع. ب

الكويت : ادلى معالي وزير الخارجية ببيان في مجلس الامة حول الاحتلال الايراني لبعض الجزر جاء فيه ان موقف الكويت من موضوع الجزر نابع من ايمانها المطلق بعروبة هذه الجزر تاريخيا وبشرية وواقعا .

● اجتمع معالي وزير الاوقاف والشئون الاسلامية بالامير العام للجامعة الاسلامية في باكستان وتناول البحث اوضاع المسلمين هناك .

● أعلن معالي وزير الداخلية والدفاع ان جميع شمل العرب ضروري لاستعادة الاراضي المحتلة ، وان الكويت اميرا وحكومة وشعبا سيظلون بجانب مصر .

● تجرى المباحثات بين الكويت والاردن كي يزود الصندوق الكويتي للتنمية العربية مشروع انشاء سد الزرقاء وتقدر تكاليفه بحوالى خمسة ملايين دينار .

● بعت الكويت (٢٢٠) صندوقا من الكتب والمراجع المدرسية والمقررات المدرسية هبة الى المسلمين في اندونيسيا .

● بلغ عدد الخريجين بالكويت من سنة ١٩٦٦ - ١٩٧٠ - ١٢٠٠ مدرس كويتي .

● طلبت وزارة الشئون الاجتماعية من جمعية الإصلاح الاجتماعي تنظيم دورة لتحفيظ القرآن الكريم في مراكز الشباب التابعة للوزارة .

القاهرة : قررت مصر تحرير الأرض المحتلة بعد ان رفضت اسرائيل لمدة أربع سنوات تنفيذ قرار مجلس الامن لحل المشكلة ، كما رفضت التعاون مع ممثل الامم المتحدة وكل الجهود السلمية .

● بحث وزراء الخارجية والدفاع ورؤساء الأركان العرب خطط المستقبل من اجل الحركة .

● تقرر تدعيم العلاقات الثقافية الاسلامية بين جمهورية مصر العربية ، وكل من الاردن وافغانستان واليابان وتزويد هذه البلاد بالمكتبات الاسلامية ونبالذ الخبرات بينها وبين مصر .

● يجرى حاليا دراسة توحيد المناهج للتعليم الثانوي بين دول اتحاد الجمهورية العربية ، وسيتم توحيد المناهج في التعليم الاعدادي في العام الدراسي ٧١ - ٧٢ .

السعودية : صرفت وزارة المالية مساعدات الى عدد من المؤسسات الاسلامية في مقدشو وغانا وجنوب الهند والاردن .

● هذرت رابطة العالم الاسلامي الشركات السينمائية من تمثيل شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو شخصية أحد من اصحابه رض الله عنهم .

● أقامت ادارة التعليم بمكة المكرمة اسبوعا للقرآن الكريم ، وقد تبرع جلالة الملك فيصل لجامعة تحفيظ القرآن الكريم بمبلغ (٢٠) الف ريال .

● تم صرف مبلغ (٢٧٤٠٠) ريال سعودي تكاليف طبع (٥٠٠٠) نسخة من ترجمة مجاني القرآن الكريم باللغة اليابانية وهي اول ترجمة بهذه اللغة .

العراق : تبذل العراق جهودا دبلوماسية من اجل الصل على توحيد الجهد العربي في مواجهة اسرائيل وهابية عروبة الخليج .

● أبدت العراق استعدادها لبذل المساعدة في نهضة الإمارات العربية وإنجاح اتحادها .

الأردن : تواصل إسرائيل تنفيذ مخططاتها لتهويد القدس عن طريق بناء المستعمرات ، وهدم البيوت العربية ، ثم فتح الباب الذهبي المؤدي إلى داخل الحرم القدسي والمطابق منذ مئات السنين .

سوريا : مستقروم وزارة الخارجية السورية بعملة اعلامية وديبلوماسية على نطاق واسع لتفنيذ ادعاءات إسرائيل بشأن اليهود في سوريا .

● قدّم في دمشق مؤتمر الكتاب العرب الثامن في الفترة من ١١ - ١٦ ديسمبر .

لبنان : شكل المجلس الاسلامي الاعلى لجنة لدراسة اوضاع العلماء في لبنان ورفع مستوى التعليم الديني .

ليبيا : بدأت لجنة من نقباء القانون والشريعة الاسلامية في وضع قانون اسلامي جديد للاسهول الشخصية .

● سجل حوالي (٢٠) ألف حاج ليبي اسماهم لاداء فريضة الحج وهو رقم قياسي لم يسبق

من قبل .
● اغلقت ليبيا مناجر الخبر والمتاجر المشبوهة ، واعلن عن عرض القوانين على الشريعة الاسلامية ، وترك القوانين التي لا تتماشى مع هذه الشريعة .

● صدر في ليبيا قانون تجبي بمقتضاء الزكاة طبقا لاحكام الشريعة الفراء .

تونس : بعث الرئيس الجزائري هواري بومدين رسالة للرئيس التونسي مع رئيس جبهة التحرير الجزائري تتعلق بالمشكلات التي تهم افريقيا الشمالية والشرق الاوسط .

المغرب : بلغ عدد الجمعيات الثقافية التي تتقاضى المساعدات من وزارة الثقافة والتعليم المالي (٢٧٤) جمعية .

الصومال : قام الرئيس الصومالي محمد زياد بجولة لزيارة بحر والسعودية وسوريا اجرى مباحثات هامة استهدفت تدعيم العلاقات بين هذه البلاد الاسلامية .

اتحاد الإمارات العربية : اعلن في الشهر الماضي في (ابو ظبي) عن قيام دولة اتحاد الإمارات العربية ، وقد انضمت الدولة الجديدة الى الجامعة العربية والامم المتحدة .

● تم فتح الطريق الذي انجزته وزارة المواصلات السعودية لربط امارات الخليج العربي بعضها ببعض ، وبالمملكة العربية السعودية .

اليمن : فرضت فريضة على طوابع البريد وتذاكر دور الملاهي جعل ريعها لتعليم الابوين نسي البسلاد .

اندونيسيا : انشئ معهد اسلامي في جاكرتا للغة الاسلامي بهدف المساعدة في وضع القوانين واصدار مجلة اسلامية ودائرة مصارف اسلامية كذلك .

ماليزيا : افتتح ملك ماليزيا في الشهر الماضي المسابقة العالمية في تلاوة القرآن الكريم اشتركت فيها (١٤) دولة اسلامية وهم المسابقة علساء من بحر والسعودية والكويت والمغرب .

● اقيم في الفترة ١١/٥ - ١٢/٥ في المسجد الوطني في كوالا لامبور مفرض اسلامي موضوعه (الاسلام ومساهمته في تنمية العلم والتكنولوجيا) .

باكستان : اشتعلت نيران العرب بين الهند وباكستان بعد تازم العلاقات واشتد الخلاف بين البلدين بسبب باكستان الشرقية .

« الى رافعي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك في المجلة ، ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم ، وتغديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات مندنا من الآن ، وعلم الراغبين في الاشتراك أن يتعاملوا راسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار — ٧ شارع الصحافة .

جدة : مكتبة مكة — السيد عوض با عامر — ص.ب : ٤٤٧ .

الرياض : مكتبة مكة — شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة — ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة — ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء — السيد محمد زين العابدين

عدن : وكالة الاهرام التجارية — السيد محمد قائد محمد .

المكلا : مكتبة الشعب — ص.ب ٢٨ .

مسقط : المكتبة الحديثة — السيد يوسف فاضل .

صنعاء : مكتبة المنار الاسلامية — السيد عاصم ثابت .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات — ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع — ص.ب ٢٤٧٣ .

الابيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية — ص.ب ٦٧ .

عمان : الشركة الاردنية لتوزيع المطبوعات — ص.ب : ٨١ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجاني — ص.ب ١٣٢ .

بنغازي : مكتبة الوحدة الوطنية — ص.ب ٢٨٠ .

تونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — كورنيش المزرعة .

دبي : مكتبة ومطبعة دبي — السيد خليفة النابودا .

ابو ظبي : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — ص.ب : ٨٥٧ .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — ص.ب ١٧١٩ .

قطر : مكتبة الثقافة — السيد سالم الانصاري — الدوحة .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

٤	حديث الشهر	لخير ادارة الدعوة والارشاد
٨	من هدى السنة « بدء الوحي »	للدكتور علي عبد النعم عبد العبيد
١٢	القرآن والكعبة والخلافة	للتشيخ احمد حسن الباقوري
٢٠	الحج	للكاتب كبير
٢٤	الحج طريق الوحدة	للدكتور وهبة الزحيلي
٣٠	اليمنيون واليساريون في الكريم	للدكتور محمد عبد النعم خفاجي
٣٥	الامام ابو حنيفة	للدكتور محمد عبد الله ابو شهبة
٤٠	التراث المفقود والموجود	للاستاذ عبد الرحمن شادي
٤٨	المصانئ المستوحاة من الحج	للاستاذ جابر هزلة فراج
٥٢	اهل الحديث	للدكتور محمد نقي الدين الهلالي
٦٤	الحج والعبادة المتكاملة في الاسلام	للاستاذ رمضان لاوند
٧١	حكم التلقيح الصناعي	للدكتور احمد الحجى الكردي
٧٨	الانسان بين المادة والروح	للاستاذ عبد الله خلف
٨٣	مسجد الميلاء	
٨٥	المقدياني والقديانية (كتاب الشهر)	عرش وتحليل الأستاذ عبدالمعطى بيومي
٩٠	الاسلام دين اليسر والنظافة	للدكتور محمد محمد ابو شوك
٩٦	سوار كسرى (قصة)	للاستاذ عبداللطيف فايد
١٠٥	الفتاوى	التحرير
١٠٧	بريد الوعى	التحرير
١٠٩	باقلام القراء	التحرير
١١١	قالت الصحف	التحرير
١١٣	الاخبار	اعداد : ع. ب.